



## نحو قراءة حدائية للتراث: من سوسولوجيا المقامات البديعية

### إلى سوسولوجيا النص

أ. خولة ميسي\*

جامعة سوق أهراس - الجزائر

[khaoulamissi@yahoo.fr](mailto:khaoulamissi@yahoo.fr)

1- بنية الاختلاف / الائتلاف في مقامات بديع الزمان الهمذاني بين ثنائية الفهم والتفسير<sup>(\*)</sup> :

\* تمهيد :

لعل ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنّ القصد من بنية الاختلاف ما ترمي إليه مقامات (بديع الزمان الهمذاني) من استخلاص جميع البنى الاجتماعية و التاريخية و السياسية... الخ التي ساهمت في تشكيل البنى اللغوية المختلفة ، الطائفة على سطح صفحات المقامات ، و الشيء نفسه ينطبق على بنية الائتلاف ، إلا أنّ القرق الجلي بينهما هو أنّ الأولى منهما- بنية الاختلاف- تدرج ضمنها مجموعة من البنى المختلفة فيما بينها ، وتوزع على جميع المقامات بطريقة متباينة ، إلا أنّ هذا الاختلاف يتداعى فيما بعد ، و يتواصل و يترابط و يتراس ليشكل في الأخير رؤية (الهمذاني) لعالمه ، أو بالأحرى روح العصر من زاوية رؤية أو نظر (بديع الزمان) .

أما الثانية - بينة الائتلاف- فنسعى من خلالها لاستخراج جميع البنى التي اتحدت و تألفت فيما بينها لتكوّن نص المقامات ، كبنية لغوية ذات سياق ثقافي ، اجتماعي ، تاريخي مرتبط برؤية (الهمذاني) لعصره ، و مثال ذلك : بنية ( الكدية / الفضل ) ، هي بنية لغوية مستشفات من بنية شاملة لها هي ظاهرة التكدّي التي تفتت في ذلك العصر و ما يرافقها من بيان و سحر لغوي (الفصاحة) . فهته البنية صاحبت المقامات من بدايتها إلى آخر مقامة تقريبا ما عدا بعض المقامات القليلة ؛ إلا أنّ هذه البنية قد تكررت في أغلبها ، وبذلك تألفت هته المقامات فيما بينها ليكون لنا (الهمذاني) هذه اللحمة الاجتماعية و اللغوية المتمثلة في بنية ( الكدية / الفضل ) .

2- بينة الاختلاف و سوسولوجيا المقامات<sup>(\*)</sup> :

أ- بنية (التّرعيب / التّرهيب) و تكوينها في المقامات البديعية :

وفي هذا المقام من المقال تطالعنا ثنائية (التّرعيب / التّرهيب) ، اتبع فيها (الهمذاني) " أسلوب القرآن من حيث الجمل القصيرة و ما فيها من إرشاد يعتمد على أسلوب التّرعيب و التّرهيب"<sup>1</sup> ، و قد قسمناه - أي أسلوب التّرعيب و التّرهيب - على حسب البنية اللغوية المتوفرة في المقامات إلى ضمنيّ و صريح.

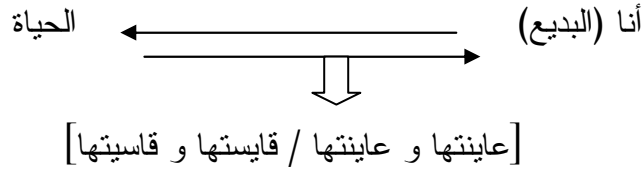
فالضمّنيّ هو الذي نستخلصه من المعنى العام للقول ، و ذلك عندما يقول : " لا و لكنّي أبو العجائب عاينتها و عانيتها . و أم الكبائر قايستها و قاسيتها. و أخو الأغلاق صعبا



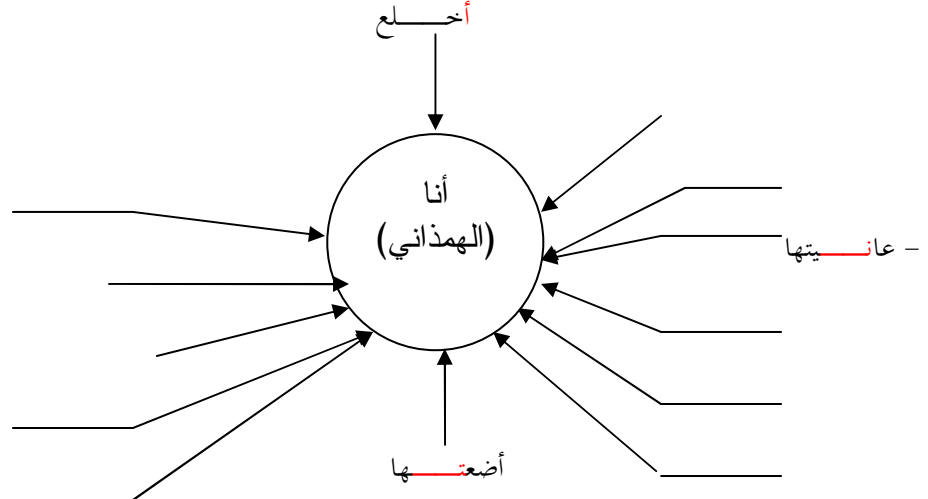
وجدتها . وهونا أضعتها وغاليا اشتريتها ورخيصةا ابتعتها . فقد والله صحبت لها المواكب . وزاحمت المناكب، ورعيت الكواكب . و أنضيت المراكب . دفعت إلى مكاره نذرت أن لا أدخر عن المسلمين منافعها و لا بد لي أن أطلع ربة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم . وأعرض دوائي هذا في أسواقكم فليشتر مني من لا يتقزز من موقف العبيد . و لا يأنف من كلمة التوحيد ، و ليصنه من أنجبت جدوده .<sup>2</sup> فصاحب المقامات - على لسان بطلها (الاسكندري) - رهّب قلوب الناس ، التي بها مرض و ولع بزخرف الحياة الدنيا ، من خلال التعبير عن أنه التي عانت تقلب الأحوال ، و قسوة الزمان ، و تعب الأبدان ، و هون النفس ، في مقابل تكديس الذخائر النفس في خزائنه حتى يكون له في كل شيء يد ، و لا يفوته أمر حتى يأخذ بحظه منه ، فلم يترك من شؤون الحياة شأن إلا عرفه ولم يبق من لذاتها و شهواتها شيء لم ينل منه بغيته .

فبعد تقرير (الهمذاني) خبرته في الحياة و تفاعله معها ، حاول (الهمذاني) اطلاع تجربته للآخر فيقول : [عاينتها و عاينتها / قايستها و قاسيتها] ، عارضها أمام (المجتمع) حتى يتعض أولى الألباب ، فيرهب من يسمع هذه المعاينة و يجزع . لتكرار ضمير (الأنأ) فيها ، و دوران كل الأفعال حولها ، مما يجعلها محط المقاساة ، فيرغب الآخر بالبدال الذي قدمه (الهمذاني) المستعاض به عن هته الحياة التي لا طائل منها .

#### بنية التفاعل



و بذلك يرهب الآخر - طالبي الهوى - من الحياة و يرغب في العمل لأخراه ، و العودة إلى أكناف التوحيد و الدين الرشيد عبر كلمة التوحيد و ما يلازمها من عبادات و الترامات ، فمن هذه الأفعال على سبيل المثال لا الحصر قوله :





- لكنني -  
- عاينتها -  
- قايستها -  
- قاسيتها -  
- وجدتها -  
- أنضبت -  
- رعيت -  
- زاحمت -  
- صبحت -  
- ابتعتها -  
- اشتريتها -

بنية التفاعل بين أنا (الهمذاني) و جميع أفعاله الصادرة عنه من خلال (الخبرة المدربة)

و يواصل (الهمذاني) نشر دعوته للأخر، و ترغيبه في البعد عن حياة الأثام و التعلق بشيم الكرام و إتباع الصراط المستقيم ؛ لأنها تصدر إلا عن كريم الأصل ، و شريف التجار ، و طيب المنبت . " و هصرت الغصون الناعمات و احتسبت ورد الخدود الموردرات . نفرت مع ذلك عن الدنيا نفور طبع الكريم عن وجوه اللثام ونبوت عن المخزيات بنو السمع الشريف عن شنيع الكلام . و الآن لما أسفر صبح المشيب و علتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد . فلم أر طريقا أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه " <sup>3</sup> . وكان (الهمذاني) يستفيق من سبات قد طال به و تجاوز الحد المطلوب لنذير بمجرد بروزه ، يضع الإنسان لنفسه خطط جديدة في الحياة تغير نمط عيشته و تجعله راهبا منها / راغبا في أخراه .

الحياة (مفاتن) ← الشيب (الحد الفاصل) ← الآخرة (حساب)

فأصيب (الهمذاني) - على لسان بطله - بصحوة فزيولوجية نفسية ، دينية ، خلقية ، بدلت خطاه ، فراح يروي تجربته المعاشة حاملا الشيب كعلامة دالة على خبرته و دليل صدقه .

إذا فبنية (الترغيب / الترهيب) في هذا المقام من التحليل " بنية إجمالية ذات دلالة " <sup>4</sup> حملت في طياتها عديد البنى اللغوية الدالة ، حاول فيها (الاسكندري) سرد قصته - من خلال حديثه عن أناه و تفاعل أفعاله مع الواقع المعاش - ليثعظ الناس منها ، معتمد على أسلوب (الترغيب و الترهيب) .

أما عن الصريح فقد جاء في قوله : " أيها الناس إنكم لم تتركوا سدى . و إن مع اليوم غدا . و إنكم واردو هوة . فأعدوا لها ما استطعتم من قوة . و إن بعد المعاش معادا فأعدوا له زادا. ألا لا عذر فقد بينت لكم المحجة . و أخذت عليكم الحجة . من السماء



بالخبر .<sup>5</sup> فمن خلال أفعال الأمر الواردة في هذه المقامة منها : (أعدّوا ...) ، وهو فعل أمر حقيقي ، يدع (الاسكندري) من خلاله الناس للعودة إلى دين الله ، و ترغيبهم في عبادته ، وطاعة رسوله الكريم . فان كنتم تظنون أنّكم تفرّون اليوم فإنّ الغد ملائكم فأعدّوا له ما استطعتم من عمل صالح ، فانّ بعد هذه الحياة حياة أخرى ترجعون فيها إلى الله ؛ و خاصة بعد نزول القرآن ، البرهان العقليّ ، و الدليل المنطقيّ على وجود مدبّر لهذا الكون ، الذي يشمل بطبيعة الحال مجتمع (الهمذاني) ، وهذا ما يجرنا للقول أنّ ثقافته هي ثقافة إسلامية .

و قد جاءت هذه الدّعوة المرغّبة ، أو الدّاعية لعقيدة التوحيد مصاحبة لعدّة ظروف اجتماعية ، و سياسية ، و اقتصادية ... منها انتشار المجون و الفسق و الانحلال الخلقيّ و الإمعان في الحصول على الملذات ، فمن بين هذه العوامل التي عرفت رواجاً في ذلك العصر اقتناء الرقيق و الجوّاري من أسواق النّخاسة ؛ حيث " كثر الرقيق في العصر العبّاسيّ كثرة مفرطة بسبب انتشار تجارته و معروف أنّ الإسلام يقصر الاسترقاق على أسرى الحروب من الأجنبيّ ، غير أنّ تجارة الرقيق كانت منتشرة في إيران و خراسان و ما وراءهما و في الدّولة البيزنطية ، و عظمت هذه التجارة في الإسلام على مرّ السنين ، حتّى كان في بغداد شارع خاص بها يسمى شارع الرقيق ، و كان يقوم عليه موظف يسمى قيم الرقيق ."<sup>6</sup> وقد جاء في مقامات (الهمذاني) حديث عن زواج العرب بالسبيّات . " حدّثنا عيسى بن هشام قال : كان بشر بن عوانة العبديّ صلوكاً فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوّج بها ."<sup>7</sup>

وفي موضع آخر من قول (الهمذاني) - على لسان بطل مقاماته (الاسكندري) - تعريف صريح بما يحصل في المجتمع . " كنت بالأهواز ، في رفقة متى ترقّ العين فيهم تسهلّ ، ليس فينا إلاّ أمر بكر الأمل ، أو مختط حسن الإقبال ، مرجو الأيام و الليال ، فأفضنا في العشرة كيف نضع قواعدها ، /.../ و المجلس كيف نزيهه ، /.../ ولما أجمعنا على الميسر استقبلنا رجل في طمرين في يمينه عكازه ، وعلى كتفه جنازة ، فتطيرنا لما رأينا الجنازة وأعرضنا عنها صفحا ، /.../ فصاح بنا صيحة كادت لها الأرض تنفطر ، و التّجوم تنكدر ، وقال: لتورنها صغرا ، ولتركبها كرها و قسرا ، ما لكم تطيرون من مطية ركبها أسلافكم ، وسيركبها أخلافكم ، /.../ أما و الله لتحملنّ على هذه العيدان ، إلى تلكم الديدان ، /.../ ويحكم تطيرون ، كأنكم مخيرون ، و تنكروهن ، كأنكم منزهون ، هل تنفع هذه الطيرة ، يا فجرة ؟"<sup>8</sup> . فانطلاقاً من هذه العبارات يمكننا إجراء مقابلة ، حدّد الأديب طرفها في كثير من المواضع و المقامات ، مرتكزين في ذلك على بنية (الترغيب/ الترهيب) .

#### الترهيب من زخرف الدنيا

- خصّ قول الترهيب لرفقة يتصفون بالغضارة أي في سن الفتوة و الشباب وهم مختط حسن الإقبال ، مرجو الأيام و الليالي ، فأفضنا في العشرة كيف نضع قواعدها . فانطلاقاً من ذلك الاعتزاز

#### الترغيب في ثواب الآخرة

- اقتصرت هيئة الواعظ عبر جميع العصور على الشّيخ الكبير الطّاعن في السن و الحامل لعكازه ، ليبدل على تجربته الطويلة في الحياة ، وأنّ كلّ الانحناءات الموجودة على كافة جسده من : تقوس الظّهر ، و تجاعيد ، و شعرا أشيب ، دالة على الحكمة التي اكتسبها من حياته الطويلة ومخابرتة للنّاس .

"استقبلنا رجل في طمرين في يمينه عكازه"



بالفتوة والقوة و شدة السّاعد، حاولوا إحياء  
عشرتهم بإمضاء ساعات يهتكون فيها ستر  
الليل، ويحيون فيها النفوس بشرب الخمر ،  
و إعلاء صوت شهواتهم .

ومما يزيد أسلوب التّرهيب والبلاغة ، تلك الحركات و الاماءات التي مارسها الشيخ  
أمام طالبي اللّهُو و المجون ، ومدى تأثيرها عليهم حتّى جعلهم يقلعون عمّا عقّدوا العزم على  
انجازه ، و انصياعهم لوعظه ، و رغبتهم في العودة إلى الله .  
- حمل (الاسكندري) للجنّازة ، و تطيرهم منها لدى رؤيتهم لها . عائق أول أو رادع .  
- إعراضهم عن رؤية الجنّازة . فعل الإعراض مساعد نفسي لهم .  
- صياح (الاسكندري) فيهم ،العائق الثاني ولكنّه أقوى تأثير ؛ لأنّ  
شدة الصّيحة وقوة فعلها فيهم أوقفتهم عن الحركة وجعلتهم يستمعون له . ثم يواصل ترهيبهم  
من نواياهم السيئة و أفعالهم الأثمة ، عبر أساليب مختلفة ساهمت في زعزعة الوجدان و الفكر  
بغية بثّ صحوة إيمانية في قلوب هؤلاء الرّفقة الضّالة ، ومن هته الأساليب : التوكيد ، و  
الاستفهام الاستنكاري ، و القسم الحقيقيّ و النّداء ... فبالإضافة إلى هته الأساليب ، هناك  
الجمال الموسيقيّ لبنية المقامات لما تتوفر عليه من سجع ومدى تأثيره في دلالة البنية  
(التّربيعيّة / التّرهيبيّة) المسربلة للمقامة داخليا ، لينتقل الإيقاع الدّاخلّي فيما بينه و يتداعى  
ليشمل الإيقاع الخارجيّ للنّص . ومن أمثلة هته الأساليب قوله في التوكيد . "لتروّثها ،  
لتركبّتها، كأنكم ، لتحملن". وعن الاستفهام الاستنكاري قوله : "مالكم تطيرون من مطية..."  
"هل تنفع هذه الطيّرة" ، و القسم "أما و الله لتحملن على هذه العيدان " ، و النّداء قوله : "يا  
فجرة " .

و خلاصة ما تقدم أنّ (الهمذاني) - و من خلال مقاماته - قد أبدع لنا شكل فنيّ ،  
ساهمت في إنتاجه الظروف الاجتماعيّة ، و " الوقائع العامة المشتركة بين شعب بأسره/.../  
المحدّدة الزّمان و المكان"<sup>9</sup> ، و هو العصر العباسي أواخر ق (4 هـ) فإذا أردنا ربط جميع  
ما توصلنا إليه بسياقه الخارجيّ ، نجد أنّ (الهمذاني) قد حدّثنا عن مظهر من مظاهر حياة ذلك  
العصر، و هو الزّهد ؛ الحركة الدّينية التي صاحبت المجون بشكل متقابل و متضاد " فإذا  
كانت حانات الكرخ و دور النخاسة و المقينين به اكتظت بالجوارح و الإماء و القيام و المغنيين  
فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعباد و النساك و أهل التّقوى و الصّلاح ، وكان في كلّ ركن  
منها حلقة لواعظ يذكر الله و اليوم الآخر و ما ينتظر الصالحين من التّعيم المقيم و العاصين من  
العذاب و الجحيم . وكان من الوعاظ من يفتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء على نحو ما هو  
معروف عن عمرو بن عبيد في وعظه للمنصور"<sup>10</sup> ، و مقامات (الهمذاني) فضلا عن كونها  
تصوير للواقع ، ما هي إلا قصص نقدية تحمل في طياتها ثورة عنيفة على أوضاع المجتمع  
الفاسدة و المتفسّخة ، و هو ما حاولنا تبينه من خلال بينة (التّرهيب/ التّرهيب) التي ظهرت  
على بنى المقامات اللّغويّة الاجتماعيّة . و لعل إدراج الوعظ ضمن قالب فني قصصي ، لم  
يكن السّبق فيه (الهمذاني) ، وإنّما " كان الوعظ في هذا العصر يلتحم بالقصص للّعظة و  
العبرة ، و هو التّحام قديم منذ تم ، الدّاري و كعب الأبحار في عصر الخلفاء الرّاشدين و منذ  
قصاص الفتوح من أمثال أبي سفيان بن حرب . و قد ازدهر الوعظ القصصيّ في عصر بني



أمية عند الذين كانوا يدفعون الناس إلى العبادة ورفض المتاع الدنيوي و سلوك السبيل الواضحة إلى نعيم الآخرة كثرة مفرطة.<sup>11</sup>

وبحديثنا عن ثنائية (الترغيب / الترهيب) ، يقودنا سياقه للتعرض إلى بنية دلالية لا تقلها أهمية ، و تندرج ضمن نطاقها ، وهي بنية (المجون/ الزهد) فكلا البنيتين تصدران عن مورد واحد وتصبان في مصب واحد ، فلا يستقيم الحديث عن موضوع الزهد والمجون دون اعتماد الأديب على أسلوب الترغيب و الترهيب باعتباره الأنسب لموضوع الوعظ . وقد خصص (الهمذاني) لموضوع (المجون/ الزهد) مقامتين هما: المقامة (الخمريّة / الوعظيّة ) بالإضافة إلى مقامات أخرى بثّ فيها بعض وعظه وبعض مجونه.

وقد تكاثفت عديد العوامل لتكوين المقامة الخمرية والوعظية باعتبارهما نموذجين حيين عن واقع اجتماعي متصدع ، بل هما " اعتراض على اهتراء البنيان الاجتماعيّ و تفسخ النظام الأخلاقيّ في المجتمع العربي القديم ."<sup>12</sup> فكما سبق و أن ذكرنا أن الزهد والتصوف هو الموضوع الرئيسي للمقامة الوعظية " فليس بعيد أن يكون بديع الزمان قد أقبل على التصوف لأنّ هذا النوع من العبادة يتلاءم كثيرا مع أهل السنة ، وكان منتشرا في القرن الرابع نتيجة لظلم الحكام وجورهم ."<sup>13</sup> فالطريق الذي رسمه (الاسكندري) في زهده هو الفقر " ألا و إنّ الدنيا دار جهاز. وقنطرة جواز. من عبرها سلم . ومن عمرها ندم ألا و قد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحبّ فمن يرتع يقع. ومن يلقط يسقط . ألا و إنّ الفقر حلية نبيكم فأكتسوها والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها."<sup>14</sup> (فالاسكندري) ينهى طالبي الهوى قائلا : " لا يزهيكم رونق الغنى ، و لا تعرنكم مظاهره ، و لا يخدعكم سرا به اللألاء ، فانه عرض زائل، و متاع قليل ، وهو مع ذلك مثار الاغترار، و منشأ التهلكة، و رداء من لبسه نسي الله ، و اتبع هواه ، فأضله وأرداه، و لا تأنفوا الفقر، و لا تنفروا من الإملاق، فانه يذكركم بالخالق دائما، و يحثكم على طاعته وطلب رضوانه ، ولقد خير النبي - عليه السلام - في أن يكون له مثل جبل أحد ذهباً فقال لا، يا رب أجوع يوما فأحمدك ، وأشبع يوما فأشكرك ، فتشبهوا به ، و سيروا سيرته، و انهجوا طريقه ."<sup>15</sup>

وقد أكد (الهمذاني) على ضرورة مزامنة الفعل للقول في منهجه الزهديّ . " قلنا : فسانح الوقت؟ قال : ردّ فانت العمر. و دفع نازل الأمر قلنا: ليس ذلك إلينا ولكن ما شئت من متاع الدنيا و زخرفها . قال : لا حاجة لي فيها و إنّما حاجتي بعد هذا تخدوا أكثر من أن تعوا ."<sup>16</sup> كما نوّه (الهمذاني) بفضل العلم و العلماء ودورهم في إعلاء مجد الحضارة و انحدار مستواها الخلقيّ و الدينيّ اللذان يؤثران على جميع الجوانب الحياتية الأخرى - الاجتماعية و الاقتصادية- . يقول (الهمذاني): " ألا و إنّ العلم أحسن على علاته. والجهل أفبح على حالاته ، و أنّكم أشقى من أظلمته السماء إنّ شقيّ بكم العلماء . الناس بأنمتهم . نجوا بدمته و الناس رحلان : عالم يرعي . و متعلم يسعي . و الباؤون هامل نعام . و راتع أنعام . ويل عال أمر من سافله . و عالم شيء من جاهله."<sup>17</sup> فليس أشق على النفس و لا أنكى بها من سافل ياتمر العلية بأمره أو جاهل يرشد العالم إلى ما لا يعلمه . (فالهمذاني) تعرض في مقاماته لقضية نقدية شائكة و هي أزمة المتقف العربي بصفة عامة و المتقفين في عصره



بصفة خاصة ، فقد حاول إعطاء ملمح و لو بسيط عما تعانیه عليه القوم في العصر العباسي باعتبارها أحد أطرافها .

فبعد حديثنا المطول عن الزهد والتقي الذي عاشه (الاسكندري) في مقامات (الهمذاني). فهل يا ترى سيقاوم (الاسكندري) فساد زمانه و يرضى بحياة الزهد و التصوف ، أو أنه سيسعى لطلب الثرى و الأهواء محاكيا بذلك حياة القصور والملوك و الأمراء ؟ ، و للإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من العودة إلى بنية المجون الذي نشره (الهمذاني) على بساط مقاماته ، و قد خصّ الخمرية بذكر تفاصيلها و التي يمكن تقسيمها إلى عدة مقاطع على حسب البنية اللغوية المنظومة على متن المقامة ودلالاتها المنفتحة على الواقع الاجتماعي المعاش ، الذي صورّه (الهمذاني) بتفاصيله وأبدى رؤيته النقدية منه ، فجاءت مقاماته "ظاهرة اجتماعية أصلا ووظيفة اجتماعية فعلا".<sup>18</sup> يقول (الهمذاني) في المقطع الأول : " حدّثنا عيسى بن هشام قال : اتفق لي في عنفوان الشببية خلق سجيح ورأي صحيح. فعدلت ميزان عقلي ، وعدلت بين جدي وهزلي ، واتخذت إخوانا للمقة ، وآخرين للنفقة . وجعلت النهار للناس ، و الليل للكأس".<sup>19</sup> فقد تعرض (الهمذاني) لظاهرة لا تقل أهمية عن غيرها من الظواهر الاجتماعية التي تفتت في ذلك العصر ، و هي التفاق بأنواعه الديني و الخفي و الاقتصادي و السياسي ... عبر جمعه بين ثنائيتين (الزهد / المجون) ، وهما ثنائية متضادة تختص الواحدة منها بشريحة اجتماعية تختلف عن الأخرى ، وتفرق فرقا يميز فيه الليل من النهار، لذا كان الجمع بينهما في شخص واحد ليس بالأمر الصعب ، و لكنّه يعد انتقاص لشخصه و نفاق من منظور ديني ، و قد ذكرهم الله في سورة المنافقين : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .<sup>20</sup>

و لعل لطبع التفاق سمت اتبعه ، حتى وصل لنفوس العرب المسلمين ، فمن بين ما قيل عن عصر (الهمذاني) أنه كان " عصر قلق و عدم استقرار و الفتن و الحروب و المكائد و الاحتيال و التكلفة ، فجاءت المقامات صورة صادقة معبرة عن هذا كله ،<sup>21</sup> و هذا ما دعا راوي المقامات (عيسى بن هشام) يعدل ميزان عقله و يؤلف بين جدّه و هزله ، و المقصود من العبارة الأخيرة هو أنه جمع في شبابه بين الفضيلة والاستهتار فمارس الأولى أطراف النهار، وبسط الثانية آناء الليل وهدوءه . فبناء على هته القسمة حدّدت المقاطع الموالية بـ:

#### الجدّ (الفضيلة) : الهزل (المجون) :

بالليل	-	بالنهار	-
أخوانا للنفقة	-	إخوانا للمقة	-
للكأس	-	للناس	-
يمضي وقته في حان الخمارة	-	ويسعى إلى المسجد	-
دعتنا دواعي الشطارة	-	تبادرنا إلى الدعوة (الصلاة)	-
الشيخ (الاسكندري) هو القيم على الحان	-	الشيخ (الاسكندري) هو الإمام	-
لي شيخا ظريف فإذا هو أسكندرينا أبو الفتح	-	الرجل التقي، هو (الاسكندري)	-



وبناء على المفارقات الحياتية التي ظهرت في العصر العباسي كَوْن (الهمذاني) مقاماته ، فحاول رصد توجه مجتمعه الفكريّ و العقائديّ ... مستعين بتجاربه الخاصة ومدى مخابراته للناس بمختلف مستوياتهم الثقافية والمادية والدينية ... ، و عبر قطر جغرافي شاسع ؛ لأنّ (الهمذاني) قد تنقل إلى عدّة بلدان لتحصيل العلم وطلب المال ، فجاءت مقاماته " تمثيل للحياة على المستوى الجماعي ، وليس على المستوى الفردي [فقط] ، بمعنى أنّه [كلما كانت المقامات] تعبيراً عن الواقع الخارجيّ ، كان ذلك مدخلاً لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعليّ للأعمال الإبداعية و الفنية .<sup>22</sup>

و قد عرف المجتمع الإسلاميّ تيار المجون مع بدايات (ق . الثاني للهجريّ) ، " و يكاد يجمع الدارسون أنّ هذا التيار انطلق أساساً من العراق ومن الكوفة بالذات ، لأنّ بيئة الكوفة كانت مهياً لمثل هذا التيار وذلك لنشأتها بجوار الديانتين اليهودية والتصرانية و للعقائد التي كان يعتنقها السكان الأصليون من مانوية وزراكنية ومزدكية ، .../ و تكاد تكون الإباحة هي العنصر الجامع لكلّ هذه النحل .<sup>23</sup> كما تزامن ظهور تيار المجون مع تيار الزهد<sup>24</sup> الذي اتسعت دائرته خلال هذا القرن ، و أقوى العوامل التي ساعدت على إزكائه هي ، " العامل الاقتصاديّ ، وذلك أن الهوية بدأت تنتع في المجتمع الإسلاميّ بين الأغنياء والفقراء وإذا أخذنا بغداد نموذجاً لما وصل إليه أمر الثروة في القرن الثاني وجدنا ذلك التناقض الاجتماعيّ البارز فبينما هناك الحكام و الوزراء و القواد و ما يلوذ بهم من الأعوان و الأشياع غارقون في النعيم ، تصخب قصورهم بألوان الترف ، و يتقنون في الملابس و المأكّل و المركب ، و يتنافسون في اقتناء الجوازي و العبيد هناك المعدمون الذين لا يجدون قوت يومهم حتّى قيل أنّ بغداد مدينة الأثرياء و لا مكان فيها للفقراء ."<sup>24</sup> و قد أعطانا (الهمذاني) صورة لهذا التناقض بين الغنى و الفقر ، و بالتالي بين (المجون / الزهد) في مقاماته فتجلت (بغداد) - و غيرها من المدن - على أنّها منتدى العالم الإسلاميّ في تلك الفترة " فكانت بغداد /.../ دار السلام و جنة الأرض ، و فيها من مسارح اللّهُو مجامع السّمّر و مجالس الأغاني و المنادمة، و فيها شيوخ الفن مثل إبراهيم بن المهديّ ، وإسحاق الموصلي وإبراهيم بن إسحاق/.../ ، ولقد بلغ هذا العصر قمة مجده في الثروة و السيادة . و ببناء الحضارة ، لا بد للثقافة أن تخطو خطوة بل خطوات جديدة إلى الأمام . هذا العصر الذي عنى فيه الأدباء بتدوين اللّغة العربية /.../ و ترجمت الفلسفة اليونانية /.../ ، و قد حفلت مجالس الخلفاء /.../ في العصر العباسي عامة بطائفة كبيرة من الرّواد الأوائل في رواية الأدب العربيّ الذين يجتمعون فيسمرون في منندياتهم /.../، لقد كانت دور الخلفاء أهلة بالأدباء والشّعراء والعلماء أكثر كثير من بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا إبان مجده ."<sup>25</sup>

وقد عدّد (الهمذاني) في المقامة الخمرية مواصفات الخمر و الحان و المنادو القيمة على الخمر . فقال يصف الخمر في أسلوب سلس جيد السبّك ، يتراوح بين الشّعور و النّثر - و هذا يدل على المعرفة الكبيرة بأسرار البلاغة - على لسان قيمة الحان قولها ، " وسألنا عن خمرها فقالت:



خَمْرٌ كَرِيْقِي فِي الْعُدُوِّ      بَةِ وَ اللَّذَاذَةِ وَ الْحَلَاوَةِ .  
تَدْرُ الْحَلِيمَ وَمَا عَلِيٍّ      هِ لِجَمِهِ أَذْنَى طَلَاوَةِ .

كأنما اعتصرها من خدي ، أجداد جدِّي ، وسربلوها من القار ، يمثل هجري وصدي ، وديعة الدهور ، وخبيثة جيب السرور...<sup>26</sup> ، و لقد أرجع (عبد الملك مرتاض) جنوح (الهمذاني) للوصف إلى "حبه الوصف ، ورغبته الشديدة فيه"<sup>27</sup> ، و نحن نذهب للقول أن (الهمذاني) قد حاول من خلال وصفه ، الحديث عن كل جوانب أو مظاهر الحياة في عصره فاستمد منه تفاصيل فضائها المكانية و الزمنية ، فجاءت مقاماته معبرة موحية ، لأنها اشتملت على "مسائل اجتماعية بشكل كلي أو ضمني ومسائل الأعراف و التقاليد ،"<sup>28</sup> متحرر دقائق الأمور ، معتمد في ذلك على عين المنقف الواعي ذي الهمذاني الرؤية النقدية الثائرة على أوضاع مجتمعه .

كما أشار الأديب إلى أدب أرسى جنوره في العصر العباسي ، وبرز نوره في العصر المعاصر ، و هو ما يعرف حاليا بأداب الضيافة و السياحة و حسن الاستقبال ، و يلقن من طرف أخصائيين و أساتذة لأجل استخدام خراجها في شركات الطيران و السياحة و المطاعم الكبيرة ... وهو أدب المسامرة و المنادمة . " فلما شاعت مجالس الخمر والغناء [التي] يسعى إليها طالبوه اللذة في دور المقبين في الكرخ و في البساتين ، وفي الأديرة ولأول مرة نسمع عن آداب المسامرة و المنادمة ، و عما ينبغي أن يكون عليه التديم في ملبسه ، و في تناوله لطعامه و في طرائفه في الحديث و أصبح هو السمة المثلى التي ينبغي أن يتصف بها التديم ."<sup>29</sup>

وقبل إنهاء هذا الجزء من المقال لابد من الإشارة إلى أن بنية (الترغيب / الترهيب) في المقامات ، تحمل دلالة أخرى إلى جانب تلك التي توصلنا إليها ، و هي انسحاب بنية الترهيب على ما هو مستحب لدى شخص (الاسكندري) ، و هو ببساطة المال و ما يحيط به من نعم الحياة و متاعها ، من ثروات نفيسة ، و عطايا ، و جزيا ، و مأكلا ، و مشرب ... (فالهمذاني) و عبر مقاماته - ما عدا البعض منها و التي تشمل الوعظ - يرغب بل و يبحث على اقتناص الفرص لكسب أكبر قدر من المال ، حتى يؤمن لنفسه حياة رغيدة تضاهي حياة الخلفاء ، و الأمراء ، و الولاة ، سائرا في ذلك على منهاج الخليفة (المهدي) و من تبعه في مسلكه ، فبعد حياة الجدّ و الشدة التي عاشها الناس في كنف حكم الخليفة (المنصور) " تطلّعا لحياة فيها سعة في المال ، و طرف من التّعيم ، فوجدوا ذلك في الخليفة المهديّ ، و في الحقّ أنّ السّنوات العشر التي حكمها كانت جسرا بين حياة الجدّ و الجفاف و العمل في عصر المنصور ، و حياة الترف و التّعيم في عصر الرّشيد ، و من بعده ."<sup>30</sup> يقول صاحب المقامات

حاث الناس على استفاء حظهم من عظام التّعيم قبل أن يدركهم الحرمان :

" أَعْمَلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلِهٍ      لَا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالِهِ .  
وَ أَهْضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ      فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَهُ ."<sup>31</sup>



وقد رهّب (الهمذاني) من الفقر وذمه ، وسعى لتبديده عبر سعيه لمدح الملوك  
و الأمراء ، فقد تجول (الاسكندري) المكتدي في أرجاء الأرض لطلب الغنى و ترك الفقر .  
" يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَخ  
ضَاقَتْ يَدَاهُ وَطَالَ صَيْئُهُ .  
قَدْ بَاتَ بَارِحَةً لَدَيْهِ \_\_\_\_\_  
يَ فَأَيْنَ لَيْلَتَنَا مَبِيئُهُ .  
لَا دَرَّ دَرُّ الْفَقْرِ فَهْوَ \_\_\_\_\_  
وَطَرِيذُهُ وَبِهِ رُزِيئُهُ .  
لَأَسْلُطَنَّ عَلَيْهِ مِنْ \_\_\_\_\_  
خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ مَنْ يُمِيئُهُ ."<sup>32</sup>

لذا نجد (الهمذاني) يصف لنا في المقامة الحمدانية مجلس " من مجالس سيف الدولة الحمدانيّ  
أمير حلب الذي كان يحضّر فرسا جميلا ويطلب من الأدباء أن يصفوه له، فمن وصفه وصفا  
حسنا فالفرس هدية له ."<sup>33</sup> بالإضافة إلى مدحه الأمير (خلف بن أحمد) (\*) في كل من :  
المقامة الناجمية ، و الملوكية و النيسابورية ، و السارية ، و النميمية ، و خصص له مقامة  
باسمه ، و هي المقامة الخلفية ، و قد أشار (الهمذاني) في مقاماته إلى موطن حكمه ، و هو  
(سجستان) يقول :

" سَجِسْتَانَ أَيَّتَهَا الرَّاحِلَةَ وَ بَحْرًا يَوْمُ الْمُنَى سَاحِلَهُ ."<sup>34</sup>

و مما روي عن حياة (الهمذاني) أنه " تصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ، ولم يبق من  
بلاد خراسان وسجستان و غزنة بلدة إلا دخلها و جنى و جبي ثمرتها ، واستفاد خيرها  
و ميرها /.../ و بعد غزنة ألقى بديع الزمان بغضاه في هراة ، واتخذها دار إقامة ، وفيها  
حسنت حاله واقتنى ضياعا فاخرة ."<sup>35</sup>

#### ب- بنية (الإنسان / الشّيء) :

و نرصد في هذه البنية جميع المظاهر الاجتماعية ، و الأنساق الثقافية ،  
و التوجهات الفكرية ، و العوامل الاقتصادية التي ساعدت على تكوين هته البنية . فالمقصود  
بثنائية (الإنسان / الشّيء) ، هو تتبع ذلك الصراع الدائر بين الإنسان و المادة ، و التجاذب  
الواقع بينهما ، على المستوى اللغوي لنص المقامات ، وقد أطلق عليه (لوسيان غولدمان)  
مصطلح الشّيء # . و سنحاول الانطلاق من الجانب الشكلي اللغوي ، ثم نغوص في الدلالات  
العميقة ، لسبر أغوارها المنفتحة على مجتمع (الهمذاني) في رحاب مقاماته ، فأول ما يطالعنا  
عند قراءتنا للمقامات تلك اللغة الغنية بالتعبيرات المتمكنة ، ذات الباع الواسع و المتشعب ،  
فقلمه يجلوه قدرا من البلاغة و يعلوه تحكما بالصياغة ، فقد " ألهم الهمذاني خيالا ومقدرة على  
صياغة معانيه بندر أن نجده عند غيره من الكتاب ، و قد مكنه ذلك من دقة ما يصف  
و تصويره في لفظ معبر موجز يتلاعب فيه بالصياغات البارعة ، و يستعين بمأثور من القول ،  
و قوالب تعبيرية تداولتها كتب الأدب و الأخبار ، و ترددت فيما أثر من أشعار القدماء  
و المحدثين ."<sup>36</sup> و ما يهمنا من كل هذه الثروة اللغوية تلك " الألفاظ الدالة على الأشياء  
المحسوسة فيها /.../ ، [و الأساليب التي تعتمد] على اصطناع الغريب ، و التأنيق في اختيار  
الألفاظ ،"<sup>37</sup> وقد جادت قريحة (الهمذاني) في رصفها ، فجاءت معبرة موحية ، يقول  
(الهمذاني) : " ضع الطست . و هات الإبريق . فوضعه الغلام و أخذه التاجر و قلبه و أدار فيه



النظر ثم نقره . فقال : انظر إلى هذا الشبه كأنه جذوة الذهب . أو قطعة من الذهب . شبه الشام . وصنعة العراق . ليس من خلقان الأعلق . قد عرف دور الملوك و دارها . تأمل حسنه /.../ . يا غلام الإبريق . فقدمه . و أخذه التاجر فقلبه . ثم قال : و أنوبه منه . لا يصلح هذا الإبريق إلا لهذا الطست . ولا يصلح هذا الطست إلا مع هذا الدست . و لا يحسن هذا الدست إلا في هذا البيت . ولا يجمل هذا البيت إلا مع هذا الضيف .<sup>38</sup>

(فبديع الزمان) اعتمد في طرحه على الأسلوب الإنشائي استوفى من خلاله المحسنات البديعية و البيانية " إلى حد الإسراف . وهو يمثل الصورة التي آل إليها النثر في تلك الفترة من الزمن، حيث تحول الأسلوب من البساطة في الكتابة إلى التعقيد ، فاهتم الأدباء بالألفاظ أكثر من اهتمامهم بالمعاني حتى أوشك المعنى على الضياع بعد أن طغى العمل الصناعي على العمل الفني طغيانا فاحشا والسجع و التشابيه والكنيات ،<sup>39</sup> و من أمثلة ذلك : الطباق قوله : "وأشارك في السعة والضيق ..."<sup>40</sup> ، و السجع قوله : " ترَبَّع في ركن محرابه ، و أقبل بوجهه على أصحابه ، و جعل يطيل إطراره ، و يديم استنشاقه ،"<sup>41</sup> و عن الجناس قوله : "فحاذني حتى إذا صكَّ الشَّبْحُ بالشَّبْحِ ،"<sup>42</sup> و في التشبيه قوله : " فمانا إلى شجرات ألاء كأنهنَّ عذارى متبرجات قد نشرن غدائرهن ."<sup>43</sup>

فالقرن الرابع ، هو العصر الذهبي لفنون النثر المحلى بالزخارف اللفظية و البديعية ، " ولقد أغرم الناس بزخرفتها و ما أضفى عليها من ألوان بديعة و ظلال متناسفة فكانت كلها أسجعا و محسنات ، تبدو كأنها العرائس المجلوة وقد تقفن الكاتب في إلياسها الأثواب الجميلة و قد طرَّرها بالذر ووشاها بالحرير /.../ ولعل هذا الزخرف و التلاعب بالألفاظ الذي غلب على كتاب القرن الرابع إنما كان من تأثير البيئة التي عاشوا فيها متأثرين بوجهات المساجد المزخرفة لكثرة ما شغل فيها بالتنميق و التصنيع و الترصيع ."<sup>44</sup> كما يدل اهتمام كتاب و شعراء ذلك العصر بهذه المحسنات ، الحياة المترفة التي كان يعيشها سكان العصر العباسي ، فجاءت ألفاظ ( الهمذاني) و أساليبه مواءمة للاستعمال العصري - مألوفة لديهم غريبة عنا - مراعية لمقتضى الحال ، و هذا ما يدل على ورودها عفو الخاطر بدون أي تكلف ، فالطست و الإبريق و الدست... وسائل شاع استخدامها في الاستعمال اليومي ، أنيقة بأنافة العصر العباسي ، ملك مشاع بين الأفراد (ال خليفة ، و الوالي و عامة الناس...) ، نتيجة للرخاء المعيشي و الرفاه الاجتماعي الذي عرفته البلاد الإسلامية في العصر العباسي ، فقد روي عن " زمن أبي جعفر كبشا بدرهم : وحملا بأربعة دوانق و التمر ستين رطلا بدرهم و الزيت تسعين رطلا بدهم و لحم الغنم ستين رطلا بدهم /.../ ، و بسبب الاستقرار و الأمن توسعت التجارة و نشطت فكانت البضائع تستورد من شتى البقاع و تشمل كل ما يحتاجه المجتمع من حاجات ضرورية أو ترفيهية . كما كان التجار يصدرون من العراق إلى البلاد المجاورة البضائع الزراعية و المصنعة فنشطت حركة التبادل التجاري و كثرت الأموال و عم الرخاء ."<sup>45</sup> هذا ما كان من دلالات الجانب الشكلي على أحوال العصر . أما عن الجانب المضموني ، فقد حوت عدّة مقامات في طياتها بنية (الإنسان / الشيء) ، أو صراع الإنسان مع المادة ، و من بينها المقامة الطوانية التي استهلكت كل معاني البنية ، و سنحاول فيما يلي استشراف الألفاظ التي تتجاذب هذا الصراع .



## 1- الألفاظ التي تنطوي على معاني مادية (حسيّة) :

قفلت - الحجّ - نزلت - شعري - اتّسخ - حماما - ندخله - حجّاما - نستعمله - واسع - الرقعة - البقعة - الهواء - الماء - اليد - الموسى - الثياب - خرج - فأخذنا - السّمت - اتيناه - قوامه - قطعة - طين - لطخ - جبيني - وضعها - رأسي - يدلكني - العظام...

## 2- الألفاظ التي تحمل معاني مجردة :

الفضول - الصدق - الحق - قدر - فضل .

فالمستفاد من هذه العمليّة الإحصائيّة هو توصلنا للقول أنّ " نسبة المحسوسات أكثر من نسبة المجردات لأنّ الحكاية حكاية أفعال أكثر منها حكاية أحوال ، [و] تقوم الحركة أساس على الأفعال المادية مشفوعة بانفعالات البطل النفسية كردود فعل يواجه بها الحدث "46، و هذا القول يعضد المذهب الذي نحن ننحوه ، (فعيسى بن هشام) الشّخصية العائدة من الحجّ ، تسعى للطهارة والاعتسال للقرب من الله (الجانب الرّوحانيّ العائد به من الحج) . " لما قفلت من الحجّ فيمن قفل ، و نزلت حلوان مع من نزل . قلت لغلامي : أجد شعري طويلا . وقد اتّسخ بدني قليل . فاختر لنا حمام ندخله . و حجّاما نستعمله ، "47 فإذا برجلين داخل الحمام يتخاصمان على رأس (عيسى بن هشام) الذي يخصه ، فتتزاح آدميته و إنسانيته عما ألفناه ، و يصبح ينظر إليه على أنّه مجموعة دريهمات يتحايل كلّ واحد منهما على الآخر للحصول عليها . و قد وصف لنا (عيسى بن هشام) و بإطناب ما لاقاه في الحمام . " فهذا الإطناب يخلق حركيّة في نسق الأحداث لأنّه يهول الموقف و يبرز أبعاده الدرامية . "48 يقول (الهمذاني) : " فقال الحمّاميّ : يا رجل لا تقل غير الصدق . و لا تشهد بغير الحق . و قل لي هذا الرّأس لأيهما ؟ فقلت : يا عافاك الله هذا رأسي قد صحبني في الطّريق . و طاف معي بالبيت العتيق . و ما شككت أنه لي . فقال لي : اسكت يا فضوليّ . /.../ ، قال عيس بن هشام : ففقت من ذلك المكان خجلا . و لبست الثياب وجلا . وانسلت من الحمام عجلا . و سببت الغلام بالعضّ والمصّ ودقفته دق الجصّ . "49

و المتأمل للمقامة الصّيمريّة ، يلاحظ ذلك الضيّاع الرّوحيّ الذي يعانیه بطلها (محمد بن إسحاق) المعروف (بأبي العنيس الصّيمريّ) (\*) أمام استيلاء سطوة المال (المادة) على خلّانه و أصحابه و رفقاء دربه . " فصحبت من أهل البيوتات و الكتاب و التّجار ، و وجوه الثناء من أهل الثروة و اليسار ، و الجدة و العقار ، جماعة اخترتهم للصّحبة ، و ادخرتهم للنكبة ، فلم نزل في صبوح و غبوق نتغذى بالجدايا الرضع . /.../ فلما خفّ المتاع ، و انحط الشّراع ، و فرغ الجراب ، تبادر القوم الباب ، لما أحسّوا بالقصّة . وصارت في قلوبهم غصّة ، ودعوني برصة . و انبعثوا للفرار كرمية الشّرار . "50 و سنجعل من ثنائيّة (الاتّصال و الانفصال) المعنى العام الذي ينبني عليه صراع الإنسان أمام قهر المغريات الماديّة - في هذه المقامة - ، التي سلّبت الإنسان إنسانيته فأمسى فاقد هويته منبهر بتداعيات العصر ، و تصبح جميع المعاملات الإنسانيّة في إطارها الاجتماعيّ و النّفسيّ و الرّوحيّ مغيبّة و مضمحلة و متلاشيّة لتحلّ محلها اعتبارات أخرى تراعى فيها المصلحة الماديّة . فإذا حاولنا تصنيف ألفاظ المقامة الصّيمريّة ، نجدها قد توزعت بين جدلية الاتّصال و الانفصال ، فالبنية اللغويّة المتعلقة ببنية الاتّصال تتمثّل في :



\* - إخواني - اصطفتيتهم - ادّخر تهم للشدائد - صحبت - للصحة - نزل في صبح و غبوق - نتغذى بالجدايا الرّضع - شرابنا نبيذ العسل - سماعنا من المحسنات الحدّاق - نقلنا الموز المقشر - ربحاننا - بخورنا ... أما الألفاظ التي تحمل دلالة الانفصال فهي كما يلي :

\* - خفّ المتاع - انحط الشراع - فرغ الجراب - تبادل القوم - صارت في قلوبهم - دعوني برصة - انبعثوا للفرار - أخذتهم الضّجرة - انسلو قطرة قطرة - تفرقوا - وحيدا فريدا كالبوم - حصلت في بيتي وحدي - أعمّر منزلا درست طولوه - فأضحى وأمسى بربعه الوحوش - رفضني النّدماء ...

فالمستفاد مما سبق ذكره ، هو أنّ (الصيّمري) قد تحولت علاقاته الإنسانيّة - المطبوعة بسمة الضّمير (نحن) - من علاقة اتّصال مع مجموعة من الرّققة جعل منهم خلائه الأقرين ، إلى علاقة انفصال عنهم - تتمحور حول ضمير (الأنا) المنفرد - فأصبح في حالة وحدة - وهذا لأنّه كان متّصلا بالثّرى والأموال - و لما أصبح في فقر عفاً عنه أصدقائه الذين اصطفاهم لوقت كريهة و شدة، و بذل أمواله عليهم .

- (الصيّمري) في علاقة اتّصال مع المال ----- يستلزم قربه من أصدقائه .

- (الصيّمري) في علاقة انفصال مع المال ----- يستلزم بعده عن رفقائه .

وبهذا تكون الثروات (الأموال / المادة) ، هي المحدّد الرئيسيّ للعلاقات الإنسانيّة ، و المعاملات الاجتماعيّة ، فيها تحافظ على آدميتك ، وبضياعتها تحقر و تنبذ حتى من أقرب الأقرين إليك ، و هذا ما يجعل (الهمذاني) ناقدا لعصره أكثر منه ناقلا مقررا له ، فقد حاول أن يمرر لنا فكرة ضياع القيم و تدهور الأخلاق في العصر العباسيّ ، بطريقة تتعالها غصّة مريرة ، نلمسها ونتجرعها من خلال تلك الجرعات السردية ، المحتشدة الأوصاف ، و المحسنات البديعيّة و البيانيّة ، لتكوّن لنا صورة دراميّة عن أبشع خيانة تعترض درب الإنسان ، و ليس هذا فحسب ، وإثما تقدم لنا موعظة و عبرة لمن يعتبر . يقول (الهمذاني) :

" و إنما ذكرت هذا و نبّهت عليه ليؤخذ الحذر من أبناء الزّمن و يترك الثقة بالإخوان الأندال السّفّل " <sup>51</sup> فقد " تبدو المسألة في ظاهرها أمرا فرديا ولكنها في حقيقة الأمر تمس العلاقات العامة و البنية الاجتماعيّة في الصّميم و وفق مستويات شتى تؤول في مجملها إلى إلحاق الدّمار بالنشاط الحضاري . فبدء بالممارسات المنحرفة التي تمس السلوك كالجنس و الفجور و الانغماس في الملذّات ، و تفشّي الخمر و الميسر و الغناء و الرقص و الفحش ، و انتشار ظاهرة القيان و الغلمان ... و انتهاء بمنظومة القيم التي تمس العمل و السلوك كالغش و الكذب و المنفعة و الأثرة و الكبر و الرياء و الغدر و النفاق و الخيانة و شهادة الزور ، و تضاول الإحساس بالمسؤولية، و غياب رقابة الضّمير و التّدليس ، و عدم الالتزام بالعهود و انعدام الأمانة ... الخ " <sup>52</sup>

و قد استطاع (الهمذاني) التّعبير عن التّفسخ الخلقي الذي ساد عصره ، عبر انجازاته الأدبيّة. و لعلّ المقامات و الموضوعات التي تعالجها خير مثال على ذلك فمن بينها المقامة الرّصافيّة ، التي عدّد فيها (الهمذاني) أنواع اللّصوص و حيلهم التي يعتمدونها لسرقة أموال النّاس و متاعه ، لما غاب الوازع الدّيني و طغى الفسق على العاصمة (بغداد) تشعب فيما بعد ليعم كامل البلاد الإسلاميّة " فلقد بدأ الفساد في العاصمة بغداد في قصور الخلفاء



و الأمراء أولا ، ثم في قصور شاركوا فيه أم لم يكن لهم فيه نصيب . و لكن بقية الأرض الإسلامية لم تكن متأثرة بهذا الفساد المحلي في بادئ الأمر ، لأنها كانت ما تزال تمارس الإسلام بالجدية التي يقتضيها الإيمان بدين الله . ثم أخذ الفساد يمتد من عاصمة الخلافة إلى عواصم الأقاليم بالعدوى ، و تلك سنة ربانية تجعل الفساد يظهر في الأرض حين يتقاعس الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .<sup>53</sup>

فانطلاقا من تصنيف (الهمذاني) للصوص مقاماته ، و درايته المفصلة بطرقهم في احترام اللصوصية ، يجعلنا نجزم بتواجدهم في عصره ، و بأنواع تفوق التي ذكرها (الهمذاني) ، و إنما أشار لهته الظاهرة إشارة طفيفة ، يقول (الهمذاني) : " و أدهم عجز الحديث . إلى ذكر اللصوص وحيلهم . و الطرارين و عملهم . فذكروا أصحاب الفصوص . من اللصوص . و أهل الكفّ و القفّ . و من يعمل في بالطفّ . و من يحتال في الصّفّ . و من يبذل بالمسح . و من يأخذ بالمزح . و من يسرق بالنصح . و من يدعوا إلى الصلح...<sup>54</sup> . فإذا ما دققنا في هذه المقامة وجدناها تتمحور حول موضوع واحد و ألفاظها تنسم بمعانيه ، و هو كيفية الحصول على المال ؟. سؤال يشغل ذهن السارق ، فيسخر نفسه و عقله وجهده للحصول عليه ، في المقابل نجد سؤال آخر يدور في فكر صاحب المال ، و هو كيفية الحفاظ على هذا المال من جميع عمليات السطو و الاختلاس و اللصوصية ؟. فهذا الصراع الدائم حول كيفية الحصول على المال بأيسر السبل ، و كيفية الحفاظ عليه ، هو الذي يؤدي إلى تكوين بنية (الإنسان / الشيء) ، التي طغت على روح العصر ، بل الأبلغ قول مادة العصر ؛ لأنّ الإنسان قد غيّبت ملامحه الإنسانية ، و ظهرت غريزته البيولوجية و المتمثلة في حب البقاء ، ثم الارتقاء للحصول على الرفاهية .

و لابد لكلّ هذا ، أسباب و عوامل سرّعت سيادة قانون الغاب على قانون الدين و الأخلاق ، نذكر منها " أنّ هذا البذخ كان يتمتع به الخلفاء و حواشيهم من البيت العباسي /.../ ، و من اتّصل بهم من الفنانين شعراء و مغنيين و من العلماء و المتقنين ، و كأنما كتب على الشعب أن يكبح ليملاً حياة هؤلاء جميعا بأسباب النّعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس و الشقاء و أن يتحمل أعباء الحياة ما يطاق و ما لا يطاق . و مرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرّموا الشعب حقوقه و طوقوه بالاستعباد و الاستبداد و العنف الشديد ، و قد مضوا هم و بطانتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله و موارده الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقة تتعم بالحياة إلى غير حد ، و طبقات قدر عليها في الرّزق ، فهي تشقى إلى غير حد ، و اضطرب أوساط الناس من التّجار و غيرهم بين الشقاء و النّعيم<sup>55</sup> ، (فحسبى بن هشام) الدائم البروز بدور الرّجل الثري - في أغلب مقامات (الهمذاني) - قد مثل الطبقة البرجوازية (الخليفة و الأمير و الوزير و حواشيهم) الحائزة على الثروات و الحاكمة في ذلك العصر ، و أما بطلها (الاسكندري) فهو من بني ساسان ، المكتدي الذي يسعى - و في معظم المقامات - لسلب الناس أموالهم بالحيلة و الفضل ، و بهذا تكون المقامات أدب الطبقة الفقيرة البسيطة المستنقاة من عصر (الهمذاني) ؛ لأنّ بطلها منهم و يروي قصص عنهم ، و ينقد (الهمذاني) من خلالها طبقة (عيسى بن هشام) .



ومن بين المقامات التي حملت في طياتها ضياع قيم الإنسان أمام سلطة المادة ، المقامة الدينارية ، فمن خلال عنوانها نبتين مضمونها و دلالتها التي تتمحور حولها و هو الدينار؛ العملة المشرعة و المتواضع عليها لتكون وسيلة لقضاء مآرب الإنسان ، و صدقة جارية لمن نفسه كريمة. لكن في هذا الموضوع ترجح كفة الأولى على خلاف الثانية لما رصدناه من حال العصر و أهله . يقول (الهمذاني) : "حدثنا عيسى ابن هشام قال : اتفق لي نذر نذرته في دينار أتصدق به على أشد رجل ببغداد . و سألت عنه فدللت على أبي الفتح الاسكندري<sup>56</sup> . فمن خلال هذا القول- و خاصة قوله لي نذر نذرته في دينار أتصدق به - يميل بنا المعنى للقول أنه مازال في المجتمع متصدقين و ذوي بر و إحسان ، ينهجون النهج الإسلامي في معاملاتهم الاجتماعية ، (فعيسى بن هشام) من فئة اجتماعية برجوازية أثبتت وجودها في مقامات (الهمذاني) ، و قد جعل منه راو لقصصه ، ومن بين الأثرياء ذوي كرم، يتحلون بسمات الإسلام ، و يسارعون لتطبيق تعاليمه. ومن بين واجباته الدينية التي أراد قضاءها ، تأديته لنذره المتمثل في التصدق بدينار على أشد رجل (ببغداد) . فها هي (بغداد) مدينة السلام و الغنى تظهر مرة أخرى مع (الهمذاني) بمفارقة جديدة ، و هي الجمع بين أعيان القوم و وجهاءها ، كما ضمت فقراء العامة و متسوليهيها . و من بينهم (الاسكندري) أشد رجل بها ، و هذا ما يؤكد لنا أنّ المجتمع العباسي قد أرسى دعائمه فوق هذه المفارقات ، التي أنتجت عديد الظواهر .

و لكن بمواصلة قراءة الوتيرة السردية للمقامة يتغير ذلك السعي الديني السامي لإيفائه بالنذر ، إلى هجاء و تبادل شتائم يعف الطبع السليم عن تقبلها ، و السمع لهوانها . يقول (الهمذاني) : "فمضيت إليه ، لأتصدق عليه، فوجدته في رفقه قد اجتمعت عليه في حلقة فقلت : يا بني ساسان أيكم أعرف بسلعته. و أشد في صنعته، فأعطيه هذا الدينار؟ فقال الاسكندري . أنا . قال آخر من الجماعة لا بل أنا . ثم تناقشا و تهارشا حتى قلت : ليشتم كل منكما صاحبه ، فمن غلب سلب ، و من عزّ بزّ . فقال الاسكندري : يا برد العجوز ، يا كربة تموز ، يا وسخ الكوز ، /.../ و قال الآخر : يا قراد القروذ ، يا لبود اليهود ، يا نكهة الأسود ."<sup>56</sup> و قد جاء (لعبد الملك مرتاض) تعليقا على هذه المقامة ورد فيه : " فحن لم نعثر على مقامة في مستواها من حيث الإقذاع والإفحاش ، ومن حيث اصطناع الألفاظ البذيئة بدون تحفظ و لا دوران ، و قد حاولنا أن نعثر على أمثلة هجائية تشبه ما ذكر (الهمذاني) في هذه المقامة عند فحول شعراء الهجاء ، فلم نكد نعثر على شيء يشفي الغليل، فقد كان أولئك الشعراء ، و منهم جرير و الفرزدق و الأخطل ، كثيرا ما يكتون و لا يصرحون ، و يوجزون و لا يفصلون ، و يشيرون و لا يلحون . أما البديع ، فقد حاول أن يستنفذ جميع ألفاظ العربية التي جاءت لمعاني الهجاء و الدم ، في هذه المقامة . و إنما يدل ذلك على ما كانت عليه الأخلاق العامة في ذلك العهد كما يدل على تعطش البديع إلى الشعر و التلب و الدم ، و تجسيم العيوب تجسما بشعا"<sup>57</sup> ، و إن ما يؤيد مذهب (مرتاض) هذا ، ما لاحظناه على البناء اللغوي لهته المقامة ، فهي لم تنته نهاية محددة تدل على فوز أحد الخصمين " فتركتهما ، و الدينار مشاع بينهما ، و انصرفت وما أدري ما صنع الدهر بهما."<sup>58</sup> و لكن إذا دققنا النظر في كمّ الألفاظ التي هجا بها (الاسكندري) مدعي التفوق في صنعة التسول ، نجدها أكثر مما التي وجهها خصمه إليه ، و هذا ما يجعل (الاسكندري) الرابح في هذا التهارش



و التقاذف ، الذي يدل على براعته اللغوية و مقدرته على تفرس العيوب و اقتفاءها . كما نلاحظ على هذه المقامة تقمصها لغرض فني ألفنا نظمه شعرا ألا وهو الهجاء ، الذي طرحه (الهمذاني) بصورة نقائض ، و الذي ظهرت ملامحه في العصر الأموي ، و لكتها برزت بحلة جديدة - مع مقامات (الهمذاني) - داخل قالب نثري يضاهي بلاغة هذا الغرض في المنظوم ، و هذا يدل على مقدرة (الهمذاني) الأدبية ، إذ فاق أدباء و شعراء عصره منزلة و ذلك لتمكّنه من ناصية البلاغة و اللغة و الأدب و عديد العلوم الأخرى ، فراح يتلاعب بألفاظ اللغة و أغراضها و مضامينها ، فجعل من الأغراض المقنصرة على المنظوم في التقليد العربي تتلاشى أمام براعته و فضله لتصبح أجود منها في النثر .

و تبرز بنية (الإنسان/ الشّيء) بشكل أوضح في المقامة الوصية ، و التي تتشكل من ثنائيات ضدية أدرجها (الهمذاني) على شكل طباق ، لأته "يتكلم في مقامته عن حالة و ضدها".<sup>59</sup> فبعد أن كان للكرم و الصّوم فضائل دينية و دنيوية ، صادق عليها القرآن و رسوله انزاحت دلالاتهما - في هذه المقامة - من الدلالة الإنسانية السامية إلى الدلالة الحسية المادية :

الكرم ← (صفة حميدة تحلى بها العرب قديم و ثبتها الإسلام لما تحقّقه من تكافل اجتماعي) .

أصبح مضیعة للمال ، و نوعا من أنواع اللصوص الذي سلب الإنسان ماله ، و يؤدي به إلى الفقر (إذا فهو مذموم) .

الصّوم ← حلة الأنبياء و النّساک و الزّهاد و الصّالح من العباد، و الصّوم فرض على كلّ مسلم .

أصبح سبيل للحفاظ على المال من الضیاع و الزّوال .

و إذا ما حاولنا تقفي أسباب هذا التّحول الطارئ على هته الألفاظ و معانيها ، نجد أنّ حياة البذخ و التّرف التي عرفها العهد العبّاسي قد حولت الأذهان و الأديان و النّفوس للعشيق فيما هو مادي و إهمال الجوهر ، محاكين حياة الخلفاء بالعاصمة (بغداد) ، فقد " أدخلوا على بلاطهم ألوانا من التّرف و التّعيم لم يعهدها المسلمون من قبل، فتفننوا في إنشاء القصور و الحدائق . و أنفقوا الكثير من الأموال على تزيينها و زخرفتها، و استنبتوا البساتين التي حاكت الجنان فتنة و جمالا، و ملئوا قصورهم بالجواري و الغلمان ."<sup>60</sup> و من هذا المنطلق انقسم الشعب بين " قلة مسرفة مبدّرة و كثرة معسرة محرومة تعيش في ضنك و عوز و فاقة مما ساعد على انتشار التّصوف ، لأنّ التّصوف رغبة عن الدّنيا و إقبال على الآخرة ، فأخذ النّاس يقنعون أنفسهم بأنّ نعيم الحياة آيل إلى الزّوال و أنّ الآخرة هي التّعيم الخالد، ولم يكن ذلك في الواقع إلا عزاء لأنفسهم المحرومة و عيشتهم التّعيسة ."<sup>61</sup>

هذا إلى جانب تيار الشّعوبية الذي انتشر في ذلك العصر، فمن بين النّقد الذي وجهه الموالى إلى العرب طعنهم في شيمة الكرم و حاولوا تقبيحها " و كانت أهم مطاعنهم التي وجهوها إلى العرب كانوا بدوا رعاة أغنام و ابل، ولم يكن لهم ملك و لا حضارة و لا مدينة و لا معرفة بالعلوم ، /.../ وبلغ من سوء نيتهم و شدة موجدتهم عليهم أن حاولوا تقبيح



بعض شيمهم الرقيقة كشيمة الكرم...<sup>62</sup> ، وقد تحدث (الهمذاني) في نصّه عن هذا الثّيار ، معتمد على الحجاج العقلي لطرح موضوعه ، يقول عن سلبيات الكرم : " فلا أمن عليك لصين أحدهما الكرم ، واسم الآخر القرم ، فيآك وإيآهما إنّ الكرم أسرع في المال من السّوس./.../ و دعني من قولهم : إنّ الله كريم إتّها خدعة الصّبي عن اللّبن. بلى إنّ الله لكريم و لكن كرم الله يزيدنا و لا ينقصه و ينفعنا و لا يضره و من كانت هذه حاله . فلتكرم خصاله . فأما كرم لا يزيدك حتّى ينقصني و لا يريشك حتّى يبيري ، فخذلان لا أقول عبقرى، و لكن بقري<sup>63</sup> . و يواصل (الهمذاني) تبريره المنطقيّ لدعوته هذا قائلا: " أنّه المال عافاك الله فلا تنفقن إلا من الرّبح . و عليك بالخبز و الملح . و لك في الخلّ و البصل رخصة ما لم لا يبالي على أيّ جنبه يقع ، و الوجبات عيش الصّالحين ، و الأكل على الجوع وافية الفوت ، و على الشّبع داعية الموت ."<sup>64</sup>

فانطلاق من هذه الوصايا التي قدمها (الاسكندري) لابنه ، نتأكد من أنّ العصر قد قذف من بعض روحه على المعاني ، فتغيرت مناحيها فبعد أن كانت تصب في المنحى الدّينيّ الرّوحيّ الإنسانيّ ، أمست تعبير عن معنى ماديّ حسّيّ دنيويّ ، فانتشر البخل و الجشع عوض الكرم ، و قد ألقت في البخل كتباً من بينها البخلاء (للجاحظ) . يقول فيه عن البخل : "لم سموا البخل اصطلاحاً و الشّح اقتصاداً ، ولم حاموا على المنع ، ونسبوه إلى الحزم ، ولم نصبوا للمواساة ، وقرنوها بالتّصنيع ."<sup>65</sup> و شجّع على الصّوم لأنّه السّبيل الوحيد للحفاظ على المال ، بعد أن كان فرض دينيّاً فراح الأدباء يورثون هذه الصّنعَة للأبناء - أي حرفة البخل و الاقتصاد - حتّى يحافظوا على دوام مالهم و بالتّالي دوام عزّهم .

كما ورد في هذه المقامة حديثاً عن لعبة الشّطرنج ، التي لم تكن معروفة عند العرب ، و إنّما مارسها العرب في العهد العبّاسيّ بعد احتكاكهم بالأقوام الأخرى وخاصة الفرس ، " فقد كانت هناك أدوات للتّرويح ولعب كثيرة ، من ذلك سباق الخيل وسباق الحمام الزاجل ولعبة الصولجان وهو كرة تضرب من فوق ظهور الخيل ،/.../ و من ذلك لعبة الشّطرنج حتّى ليشتهر شخص بإحسانها يسمى أبا حفص الشّطرنجي ، و لعبة التّرد (الطاولة) ."<sup>66</sup> و كلها ملهيات عرفت في العصر العبّاسي ، و ذاع اللّهُو بها آنذاك لاحتكاك العرب بغير العرب الذي أثر على صيرورة الحياة الثقافيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و الفكريّة و الحياتيّة ... .

### 3- بنية الانتلاف ودلالاتها السوسولوجية على المقامات :

#### أ - بنية التّكدي (الكديّة) الفضل (البيان) :

إنّ أغلب مقامات (الهمذاني) يدور موضوعها حول الكديّة ، ما عدا بعض المقامات التي تعالج مواضيع أخرى كالوعظ ، و الوصف ، و المدح ، و النّقد...، فمن بين هذه المقامات التي لم تذكر فيها الكديّة الخمرية ، البشريّة ، الشّعريّة ، المارستانيّة ، المضيريّة ، الوعظيّة ، العرافيّة ، المغزليّة ، الأهوازيّة ، العلميّة ... ، و قد زواج (الهمذاني) بين (الكديّة / و الفضل) ، حتّى تصل إلينا المقامات بهذه الصورة التي عليها .



وقد جعل (الهمذاني) من بطل مقاماته أحد متسول بني ساسان ، الذي خصّص للحديث عنهم مقامة أسماها بالسّاسانية ، " و ساسان آخر ملوك الفرس ، و قد ذلوا وصاروا رعاعا بعد سقوط دولتهم ، لهذا أطلقوا على المتسولين لقب بنو ساسان تهبينا لأمرهم ؛<sup>67</sup> حيث يقول (الهمذاني): "حدثنا عيسى بن هشام قال : أحلتني دمشق بعض أسفاري ، فبينما أنا يوما على باب داري . إذ طلع عليّ من بني ساسان كتيبة قد لفوا رؤوسهم . و طلوا بالمغرة لبوسهم و تأبط كلّ واحد منهم حجرا يدق به صدره وفيهم زعيم لهم ."<sup>68</sup> و لكنّ متسول (الهمذاني) يتمتع بفصاحة و فضل ينم عن معرفة كبيرة بفنون الأدب على خلاف ما نألفه عنه ،" قال عيسى بن هشام : فلما فتق سمعي منه هذا الكلام علمت أن وراءه فضلا فتبعته حتى صار إلى أم مثواه . و وقفت منه بحيث لا يراني و أراه . و أماط السّادة . فإذا زعيمهم أبو الفتح الاسكندريّ ."<sup>69</sup>

(فالهمذاني) جمع إلى جانب احترافية صنعة التّكدي ، صنعة الكلام و هذا لما عرف عنه من فطنة ، وذكاء متّقد ، و مقدرة على الحفظ . " فقد أتقن الكتابة في الكدية في تلافيف مقاماته فصور أعمال المكدين بصور شتى ، و نمق أقوالهم على أساليب مختلفة ، تلك الأساليب التي كان يلجأ إليها المكدون فيدخلون إلى قلوب النّاس ، و لعل البديع و قد عاصر بعض المكدين من أمثال أبي دلف الخزرجي صاحب القصيدة الساسانية التي سجل فيها كلّ أفعال المكدين و أقوالهم و أساليبهم ، كما قرأ شعر الأحنف العكبري في الكدية ، هذا بالإضافة إلى ما استوعبه من أخبار المكدين السّابقين لزمانه ، فتكونت له ثقافة ساسانية و قريحة مكدية جعلته يتخرج بهذه الأساليب و الألفاظ البارعة في هذا الفن من فنون المقامات ."<sup>70</sup> فنتيجة لهذا الاحتكاك الجاري بين (بديع الزّمان) و مكثدي عصره وحتّى العصور السّابقة " الأمر الذي يظهر لنا أبا الفتح الاسكندريّ بطل مقاماته في مظاهر مختلفة و حيل متعددة ."<sup>71</sup> نذكر منها :

- في المقامة القردية يبدو لنا قرّادا يرقص قرد و هو أمر ألفناه في عصرنا الحالي لكثرة مشاهدته في المهرجانات البهلوانية (السّيرك) لكن الاختلاف البسيط بين عصرنا ، و عصر (الهمذاني) هو أنّ نظرتنا لهذه الألعاب نظرة عادية إستناسية و استمتاعية ، و لكن نظرة النّاس في عصر (الهمذاني) هي نظرة دونية ، " فإذا هو و الله أبو الفتح الاسكندريّ . فقلت ما هذه الدناءة ويحك ."<sup>72</sup> و يقول أيضا : "حدثنا عيسى بن هشام قال : بننا أنا بمدينة الشّام . قافلا من البلد الحرام . أميس ميس الرّجلة . على شاطئ الدّجلة . أتأمل تلك الطّرائف . و أنقصي تلك الزّخارف . إذا انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطّرب أعناقهم . و يشق الضّحك أشداقهم فساقني الحرص إلى ما ساقهم . حتّى وقفت بمستمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدة الهجمة و فرط الزحمة فإذا هو قرّاد يرقص قرده و يضحك من عنده ."<sup>73</sup> فبالإضافة إلى حديث (الهمذاني) عن حيلة (الاسكندريّ) في التّكدي ، فأنّه لم يهمل دقائق الأمور و فسافسها ، فقد شدّه جمع النّاس الملتّف حول قرد يرقص و تعجب لهذا الأمر الغير جلل ، و أرجع ذلك إلى تدهور حال العصر و تفاهة أهله ، لما رآه (عيسى بن هشام) من اهتمامهم برقص قرد . " انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطّرب أعناقهم ، ويشق الضّحك أشداقهم ."<sup>74</sup> وقد جاء في تاريخ الأدب العربي (لشوقي ضيف) حديثا عن أنواع الملهيات في عهد (الهمذاني). " وكان للعامّة ملاهيمهم وفي مقدمتها الفرجة على القرّادين



و الحوَّاتين ، وكانوا يتجمعون حول قصاص يطرفونهم بحكايات خيالية ، كما كانوا يتجمعون حول طائفة من الحكَّائين الذين كانوا يحكون في دقة لهجات سكان بغداد و نازليها من الأعراب .<sup>75</sup>

- ما فصل لنا (الهمذاني) في مقامات أخرى أنواع من التَّكدي ، ففي المقامة الفزارية مثلا ، ظهر فيها (الاسكندري) بشخصية تمثيلية جديدة تختلف عن الشخصيات المتكدية الأخرى ، لما تظهره من احترافية لصنعة (التكدي / الفضل). " قال : أجوب جيوب البلاد . حتى أقع على جفنة جواد ، ولي فؤاد يخدمه لسان . و بيان يرقمه بنان . و قصاراي كريم يخفض لي جنبيته . وينفض إليّ حقيبتيه <sup>76</sup> ، و بهذه المقدره البيانيّة و البلاغيّة أخذ (الاسكندري) مال (عيسى بن هشام) عن طيب خاطر . فبحدّ لسانه و فصاحته استولى على ماله و ليس بحد السيف و القوة (الصوصيّة) على الرّغم من توشّحه سيفاً لا يعرف استخدامه، لكنّه فضل سيفاً يزاوج بين الحدة و التأثير و يتطلب قليلاً من الشدّة . يقول (الهمذاني) فيه :

" تَوْشَّحْتَ أَبَا الْفَوْحِ      بِهِذَا السَّيْفِ مَخْتَالًا .

فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ      إِذَا لَمْ تَكُ قَبَّالًا .

فَصَنَعَ مَا أَنتَ حَلِيَّتٌ      بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا <sup>77</sup> .

- و لعل أدق صورة قدمها لنا (الهمذاني) عن مكتدى ، تلك التي تحدث فيها عن متسول أعمى يطأ الفصاحة بأقدامه ، و يمارس حركات تتشابه مع ما يعرف في عصرنا بالألعاب البهلوانية. " فما زلت بالنظارة أرحم هذا و أدفع ذلك حتى وصلت إلى الرّجل و سرّحت الطرف منه إلى حزقة كالقربني أعمى مكفوف . في شملة صفوف . يدور كالخزروف . متبرنسا بأطول منه معتمدا على عصا فيها جلاجل يخبط الأرض بها على ايقاع غنج . بلحن هزج . و صوت شج . من صدر حرج . " <sup>78</sup> ففي هذا القول منحى جديد لمسار التّكدي اتبعه (الهمذاني) في مقاماته ، فبعد أن ألفناه متسول مال أو عطاء أو طعام يعمد إلى الفصاحة للحصول على غرضه ، نجده في هذه المقامة يضيف على خصائص كديته، خاصية أخرى و هي استقطاب نظر المشاهد و سماعه و مشاعره و انتباهه و شففته ، فإذا أمعنا النّظر فيها وجدناها تضاهي السميائيات السّميّة البصريّة و مقدرتها على اجتذاب المتلقي و إقباله على ما تعرضه من إعلانات و إشهارات .

إذا فكفوف (الهمذاني) السبّاق لما يعرف الآن بحدائث الصّورة ، فقد وظّفها في تسوله و عرفها قبلنا ؛ من خلال تركيزه على بؤرة بصرية و جهت زاوية رؤية النّاس (المشاهد) حول لباسه المعدّ لهذا العمل ( في شملة صوف . يدور كالخزروف . متبرنسا بأطول منه معتمدا على عصا فيها جلاجل .) فبعد اكتمال الصّورة المأساوية لحال مكتدينا المكفوف ، و وقعه في قلوب النّاس موقع الشّفقة و الرّثاء لحاله ؛ أي أنّه استقطب أو حصد نظر جميع الموجودين ، ثم عمد إلى سماعهم و شغله بأهازيج و شجون و ترنيماته ، التي



ترافقها إيقاع العصا من خلال تحريكه لها بيده متزامنة مع ما يقوله من أبيات شعرية تروي بؤس حاله ، نضيف إلى ذلك أنه مكفوف .

فباجتماع جميع هذه المدركات الحسية في شخص (الاسكندري) ، جعل منه محط الاهتمام و زاوية الرؤية ، و بالتالي الرجل الذي سيجني جميع المال الذي في جيوب النظارة . " قال عيسى بن هشام : فرّق له و الله قلبي و اغرورقت له عيني . فنلته ديناراً كان معي " .<sup>79</sup> و فضلا عن الدينار الذي قدمه (عيسى بن هشام) (للاسكندري) ، فقد قدم له تعاطفه لدرجة البكاء ، لتأثره الشديد بجلّ الإيماءات و الإيحاءات و الأقوال التي جمعت في شخص ( الاسكندري) . و لكن (ابن هشام) اكتشف في آخر المطاف أنه (الاسكندري) و يدعي العمى ليبلغ مراده . " فناله الناس ما نالوه ثم فرّقهم و تبعته و علمت أنه متعام لسرعة ما عرف الدينار . فلما نظمتنا خلوة ففتح عن توأمتي لوز و حدّرت لثامه عن وجهه فإذا و الله شيخنا أبو الفتح الاسكندري . فقلت : أنت أبو الفتح ؟ فقال : لا

أنا أبو قلمون<sup>(\*)</sup> في كلّ لونٍ أكونُ .  
أخترُ من الكسبِ دُونَاً فإنّ دهرَكَ دُونَ .<sup>80</sup>

و لقد تعرّض ( الجاحظ) في البيان و التبيين لصور من أعمال المكتدين في العهد العباسي يقول فيه : " إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً و كذلك تكون حكايته للخراساني و الأهوازيّ و الزنجيّ و السنديّ و الأحباش و غير ذلك كله ، فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى ."<sup>81</sup>

إنّ ما مثلنا به في هذا الجزء من المقال ليس سوى القليل ، و إذا تفحصنا المقامات البديعية نجد الكثير ، و قد تبين لنا مما سبق ، " أنه كانت للمكدين دولة غير ذات حدود ، فهم يضربون في الأرض شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً ، يعتمدون على فصاحتهم و حيلهم ، و كانت ضرباً من ضروب الأدب في القرن الرابع . و لم تكن هذه الحرفة على ما فيها من إراقة لماء الوجه مكروهة معجوجة ، بل كانت منتشرة ذائعة ، و لعلّ السبب في ذلك راجع إلى انتشار ظلم الحكام في القرن الرابع و ما قبله و فساد النظام الاجتماعيّ مما شجع الكثيرين على أن يمتهنوا حرفة الكدية أو الساسنية ."<sup>82</sup> فبعد هذه الإطالة على بعض الشخصيات التي اقتسم بطل مقامات (الهمذاني) أدوارها من ثلثة شحاذي عصره ، يدعونا الحديث للقول أنّ " بديع الزمان الهمذاني ، بحسب ما ورد في بعض رسائله ، اضطر إلى التسول في طرقات نيسابور و أزقتها بحثاً عن لقمة العيش و ما يقيم الأود . /.../ فهذه الخبرة بقضايا الحياة و مشكلاتها ، و إن كانت أحياناً في صورة فنية معكوسة بحيث تبعث على التمرد ، و قلب الأوضاع ، و ما في ذلك من إحساس بالمرارة ، هذه الخبرة هي التي أمدّت الهمذاني بمادة تعينه على رسم ملامح بطله أبي الفتح الاسكندريّ مجرباً شديد المراس ، و شخصية ثائرة متمردة ، تعبّر عن ثورتها و تمردتها بالسخرية و بشئى وسائل الاحتيال و التّكدي ، إنها مثال الشّحاذ الثائر ، و المتسول المتمرد ، و المكدي السّاخط الذي ضاق ذرعاً بفساد العصر و نفسّه فعبّر عن ذلك كله بتفسّحه و احتياله القاهر بين قيم أصيلة و أخرى زائفة ."<sup>83</sup>



## ب- بنية الحيلة (إعمال العقل) / السخف (البلاهة) :

و نجد هذه البنية تتكرر في جميع المقامات تقريبا ما عدا تلك التي تخرج عن مضمار التكدى من وصف ، و مدح ، و غزل ، موعظة ، و مجون ... و قد لمّح ( الهمذاني ) و أشار لهذه البنية في عديد المواضيع ، فعادة ما يجعلها على شكل نصيحة يقدمها على لسان بطل مقاماته (الاسكندري) لراوي مقاماته ( عيسى ابن هشام) . و كأنه يود تغيير تلك النظرة الدونية المتعالية التي ينظر بها أهل الطبقة البرجوازية في ذلك العهد ( من تجار ، و حرفيين ، و ولاة ، و قضاة ، و أمراء ... ) إلى صنعتهم (الكدية) . فعلى قدر الاستخفاف بها و بحائكها - الذي يدعى على الدوام البلاهة و السخف و الجنون - على قدر ما يجب الانحناء لفظنته و ذكائه و مقدرته على تدبير الحيل على حسب المقام الذي وضع فيه .

(فالاسكندري) هذا سريع البديهة و الثقلب ، له قدرة فائقة على اقتناص الفرص ، و مقدرة على التمثيل ، و تحويل عمل حواسه الخمسة و عقله و قلبه بحسب الوضع الذي هو فيه ، ليحصد أكبر قدر من الجزايا من مدعو الفطنة و العقل . بينما (الاسكندري) المتهتم بالجنون (غياب العقل) هو أعقل إنسان وجد في ذلك العهد . يقول (الهمذاني) :

" زَجَّ الزَّمَانُ بِحُمُقٍ      إِنَّ الزَّمَانَ زَبُونُ .  
لَا تُكذِّبَنَّ بِعَقْلٍ      مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجُنُونُ ."<sup>84</sup>

(فالهمذاني) يتحسّر على زمنه ، فإذا كان الدهر لا يؤاخي إلا الأذنياء فاختر من الكسب الدون ؛ أي السافل ليوافيك الدهر كما وافى سائر الأسافل ، فلا سبيل لدفع شدة الزمان و كيدته إلا بالحرق و الجنون ، لأنه العقل بعينه .

و يغالي ( الهمذاني) في الإشادة بحمقه الذي هو عين العقل ، فيصف من هم عرضة لحيلته و شراكه التي يلف حبالها حول كل شخص يود قضاء منه مأرب ، يقول ( الهمذاني): " و نظرت فإذا هو أبو الفتح الاسكندري . فقلت : كيف اهتديت إلى هذه الحيلة ؟ فتبسّم و أنشأ يقول :

" النَّاسُ حُمُرٌ فَجَوَزَ      وَ ابْرُزَ عَلَيْهِمْ وَ بَرَزَ .  
حَتَّى إِذَا نَلَّتْ مِنْهُمْ      مَا تَسْتَهِيهِ فَقَرُوزُ ."<sup>85</sup>

و يقول أيضا في موضع آخر :

" وَيَحَاكَ هَذَا الزَّمَانُ      فَلَا يَغُرَّتْكَ الْغُرُورُ .  
لَا تَلْتَرَمُ حَالَهُ وَ لَكِنْ      دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ ."<sup>86</sup>

و يمضي ( الهمذاني) في تصريحه هذا ؛ من خلال إعلاءه شأن بنية (الحيلة / السخف) و ذمه للعقل الذي أصبح منقصة أهل زمانه ، و أنّ الجهالة و ضعف المدارك أمر مستحسن في عصره . كما عليه أن يتّصف بصفات معاصريه و يتخلق بأخلاقهم حتى يحصل على

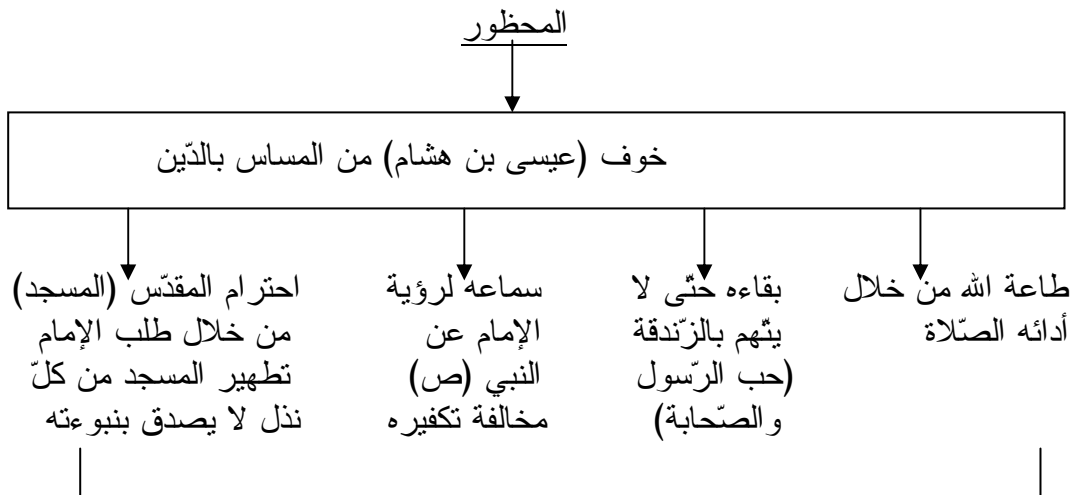


الثروة و يكون ذا بسطة من المال؛ لأنّ " المال سريع في انتقاله سرعة الطيف ، و يشكّ التحوّل ، كثير التردّد ، و لكنّه إنّما يدور على اللّثام و يقع لدى الخبيثين ."<sup>87</sup> يقول ( الهمداني ) :

" هَذَا الزَّمَانُ مَشُومٌ      كَمَا تَرَاهُ عَشُومٌ .  
الْحُمُقُ فِيهِ مَلِيحٌ      وَ الْعَقْلُ عَيْبٌ وَ لُومٌ .  
وَ الْمَالُ طَيْفٌ ، وَ لَكِنْ      حَوْلَ اللَّثَامِ يَحُومٌ ."<sup>88</sup>

و الثنائية الضديّة ( الحيلة / السّخف ) التي بنا ( الهمداني ) عليها توجهه ، قد ضمّتها حرفته ( الكدية ) ، الوسيلة الوحيدة للاسترزاق بلا تعب ، " و هذا اللون من الأفكار يمثل المادة الرئيسيّة التي يقوم عليها مضمون فنّ المقامة . إذ نجد معظم المقامات تعتمد أساساً على حيل المكدين و أخبارهم و مغامراتهم . و كانت هذه الحيل تبلغ أحياناً مبلغاً عنيفاً بحيث يتعرّض الاسكندريّ ، مثلاً للضرب و اللكم و اللطم ، كما نجد ذلك في المقامة الموصلية . كما أنّ أحد بطلي المقامات الرئيسيّين ربما احتال على الآخرين ، و عرضهم للمكروه ، كما نجد في المقامة البغدادية ."<sup>89</sup>

و قد يلجأ مكثدي ( الهمداني ) إلى المساس بالدين و الكذب على الرسول - صلى الله عليه و سلّم - ليصل إلى مبتغاه ، كما عبّر عنها ( الهمداني ) في المقامة الأصفهانية ، و التي أشار فيها بأصبع الاتهام إلى شريحة من مجتمعه تستغلّ الدين لقضاء مآربهم و الوصول إلى غاياتهم المنشودة .



كلّها قيود كبل بها (الاسكندريّ) الجمع ، جاعل منها حيلة للحصول على أموالهم باسم الدين



و قد لمّحت هذه المقامة - من بعيد أو من قريب - لظاهرة قد تفتّش مفعولها في زمن ( الهمذاني ) ، و ظهرت بألوان عدّة في عصره كما في مقاماته ، فإذا حاولنا إدراج هذا الرّياء و الكذب الدّيني ضمن تيّار معيّن ، لا شكّ أنّه سيكون حتما تيّار الزّندقة ، التي تنوعت مناحيها في ذلك و تمايزت . ففي هذا المقام لا يسعنا سوى القول أنّ ما عرضه لنا ( الهمذاني ) في هذه المقامة و في سواها من مثل : المقامة الخمرية ، و السّجّسانية ... و غيرها كثير ، يندرج ضمن الزّندقة الدّينية التي تخالطها الزّندقة الاجتماعيّة ، و تعدّ الزّندقة الدّينية ، أخطر أنواعها ، وهي " تلك التي تظاهر أهلها بالإسلام ، إما للكيد له أو بمعنى أدق لهدمه . [أين] نشأ جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ، و يحقّق بإظهار شعاره و الدّخول في جملة أهله ، دمه و ماله ، زنادقة ملحدون و كفار مشركون ، لأنّهم يغلّون في الدّين و يموهون على المستضعفين ، بما يظهره من لباس الدّين هم فيه على الحقيقة عار ."<sup>90</sup> أمّا الاجتماعيّة منها فقد نادى " بهدم القيم في المجتمع العربي الذي أثرها ، و اعتبرها فضائل خفيّة ، فأظهروا المثالب الفرديّة بصفات عامّة ، و تهجّموا على مفاهيم الفروسيّة و المفاهيم الإسلاميّة أيضا /.../ و لم يكتف الزّنادقة بمهاجمة الفضائل الاجتماعيّة ، بل راحوا يعملون على تفسيح القيم الدّينية ، فأكثرُوا من المجون و الشّراب ، و جاهرُوا بالخلاعة و الانحراف الجنسيّ ، معتبرين ذلك تحررا و مثلا في الظّرف"<sup>91</sup>

كما حدّثنا ( الهمذاني ) عن منبع حيلة مكثّديه قائلا على لسان ( أبي العنابس ) أحد شخصياته ، " فجمعت من التّوادر و الأخبار و الأسمار ، و الفوائد و الآثار ، و أشعار المتظّرفين و سخف الملهين ، و أسمار المتيمّين ، و أحكام المتفلسفين ، و حيل المشعوذين ، و نواميس المتمخرفين . و نوادر المنادمين . و رزق المنجمين ، و لطف المتطبّيبين ، و كيادي المخنّثين . و دخمة الجرابزة و شيطنة الأبالسة ما قصر عنه فنيا الشّعبيّ ، و حفظ الضّبّيّ ، و علم الكلبّيّ . فاستردفت و اجتديت ، و توسّلت و تكديت ."<sup>92</sup> و المثالم لمقامات ( الهمذاني ) يجد ما اختصره في هذا القول متناول فيها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أنّه قد تعرض لـ :

- 1- التّوادر و الأخبار : تشمل جميع المقامات .
- 2- أشعار المتظّرفين و سخف الملهين : في المقامة القرديّة مثلا .
- 3- أسمار المتيمّين : المقامة البشريّة .
- 4- شيطنة الأبالسة : المقامة الابليسيّة .

### ج- بنية ( الجدّ / الهزل ) :

مما لا شكّ فيه أنّ نص ( الهمذاني ) قد بني على ركيزتين هما ( الجدّ / الهزل ) ، و سنبدأ حديثنا عن بنية الجدّ ، التي نجزم قطعا بوجودها في كافة المقامات حتّى التي تحمل ضحك مليح ، و طرفة مرحة ، فهي ترمي لعين الجدّ أو جد الجدّ . و قد تحمل بنية ( الجدّ / الهزل ) معنى آخر كما الذي حدّده ( الهمذاني ) في مقامته الخمرية ، التي جاء فيها قوله : " فعدلّت ميزان عقليّ ، و عدلّت بين جدّي و هزليّ ."<sup>93</sup> فبنية ( الجدّ / الهزل ) التي أشار



إليها (الهمذاني) تختلف عن التي نحن بصدد دراستها ، فقد أراد بالجدّ المرءة / و بالهزل الشهوة ، و هي بنية أشد ضيقا من التي نخوض فيها ؛ لأنّ المقصود من بنية الجدّ هي البحث في ذلك القالب الاجتماعيّ الذي ولد المواضيع التي عالجهما (الهمذاني) من خلال البناء اللغوي المتمثل في المقامات ، و قد حاول من خلالها استشراف الحديث عن مختلف طبقات عصره ، فصور لنا صورة الطبقة البرجوازية من أمراء و خلفاء و ولاة ... ، و نجد ذلك في المقامة الملوكية و الحمدانية و الخلفية ، كما عرض لمجالسهم و صفاتهم ، بالإضافة إلى تغطيته للمجالس الشعرية و النقدية و الأدبية و مشاركة أبطال شخصياته فيها كما في المقامة القريضية و الجاحظية و الشعرية ...

كما نوه بأحوال عصره و أخلاقه المنحدرة عبر كلّ شخصية مكتدية في مقاماته ، أضف إلى ذلك حديثه عن الساسة و السياسة ، و كيف توزع السلطات و المراتب في عهد الحكم العباسي و كيف تكون المعاملات بينهم ، و التي تتبني على التفاق الاجتماعيّ . يقول (الهمذاني) : " حدثنا عيسى بن هشام قال : وليت بعض الولايات من بلاد الشام . و ورودها سعد بن بدر أخو فزارة . و قد ولي الوزارة ، و أحمد بن الوليد ، على عمل البريد . و خلف بن سالم ، على عمل المظالم ، و بعض بني ثوابة . و قد ولي الكتابة ، و جعل الزمام ، إلى رجل من أهل الشام . فصارت تحفة الفضلاء و محط رحالهم . و لم يزل يرد الواحد بعد الواحد حتى امتلأت العيون من الحاضرين و تقلوا على القلوب . و ورد فيمن أبو الندى التميمي قلم تفت له العيون و لا صفت له القلوب . و دخل يوما إليّ فقد قدرته حقق قدره . و أعددته من المجلس في صدره ، و قلت : كيف يرجي الأستاذ عمره ؟ و كيف يرى أمره ؟ فنظر ذات اليمين و ذات اليسار . " <sup>94</sup>

و ما سقنا هذا القول إلا للحديث عن ذاك الاضطهاد الذي عناه أدباءنا في ذلك العصر و تعرضهم للإحباط السياسيّ و الاجتماعيّ و المعيشيّ ... ، ( فالهمذاني) أحد أدباء ذلك العصر ، و لا بدّ من أنّه قد لاقاه ما لاقى باقي الأدباء ، و هو ما يؤكد لنا سطوة ذلك العهد على نفوس مبدعيه ، قول ( الهمذاني) : " فقلت : و ما لك مع هذا الفضل ترضى بهذا العيش الرذل ؟ فأنشأ يقول :

"بُؤْسًا لِهَذَا الزَّمَانِ مِنْ زَمَنٍ  
كُلُّ تَصَاريفِ أَمْرِهِ عَجَبٌ .  
أَصْبَحَ حَرْبًا لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ  
كَأَنَّ مَا سَاءَ أُمَّةُ الْأَدَبِ ."<sup>95</sup>

و هذا ما يؤكد لنا أنّ للمقامات بنية اجتماعية أشمل منها ، و تستوعبها استيعابا تغيب فيها بنية المقامات أمامها . فأبي شكل أدبي له صلة وثيقة بينه و بين " طبقة اجتماعية معينة . فمقامات الهمذاني ، من هذه الجهة ، وليدة عصرها ، عصر البؤس الذي ساد في تلك الفترة ، فأخرج الأدباء المكدين من أمثال أبي دلف الخزرجي و الأحنف العكبري ، و اضطر أدبيا من حجم أبي حيان التوحيدي إلى إحراق كتبه في لحظة من لحظات القنوط و اليأس ، و عالما كأبي علي القالي إلى الرحيل صوب الأندلس حين لم يجد ما يسدّ عوزه ، فاضطر إلى بيع كتبه .<sup>96</sup> و بهذا يكون ( الهمذاني) قد تطرق في مقاماته إلى كلّ شاردة و واردة في عهده و حتى في العصور التي سبقتة ، و ها نحن اليوم في عصر العولمة و الانترنت و الحواسيب المعلبة ، نجد توافق كبير بين عصر (الهمذاني) و عصرنا . و بذلك يكون طرح



(الهمذاني) لمقاماته أكثر شمولية و عمومية في لغة مستوعبة لحال عصره ، تخطت حواجزه لتصل إلى أزقة شوارعنا .

أما عن بنية الهزل فقد تنوعت دلالتها من مقامة إلى أخرى ، و لا بد لنا قبلا من القول أنّ الهزل قديم قدم الوجود ، عرفته الحضارات و الأقوام البائدة ؛ لأنه و قبل أن يندمج داخل شكل أدبي هو حالة نفسية مطبوعة في نفس الإنسان . " فالسخرية قديمة قدم الإنسان ؛ لأنها قد تكون ترويحاً عن النفس أو تسرية عن القلب أو استنكاراً لما يقع ، أو هزءاً و تنديراً بالخصم ، كما جاء في قصة نوح - عليه السلام - حين أمر بصنع السفينة ليجمع فيها من كلّ زوجين اثنين ، و أخله ، و قرابته المؤمنين ، و من اتبعه و آمن به ... هزأ به قومه . و ضحكوا و قالوا : يا نوح ، قد كنت بالأمس نبيا ، و أصبحت اليوم نجارا !!"<sup>97</sup> ، كما ورد مصطلح السخرية في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . ﴾<sup>98</sup> ، و قال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَ لَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ . ﴾<sup>99</sup> و لقد ملئت المؤلفات الأدبية بالسخرية و بأنواعها ؛ " لأنها تناولت الغفلة و التغافل، و التناقض و التلاعب بالألفاظ و التهكم بالعيوب الخلقية ، و النفسية ، و الجسدية ، و الدعابة ، و الحذقة ، و الردّ بالمثل ، و التهكم الاجتماعيّ و السياسيّ ، و التلصص الفج ، و القلب و العكس ، و ضعف العقل ، و غير ذلك . و الذي ساق المتنديرين و الساخرين إلى هذا ، خبرتهم بأن الإنسان يطرب ، بطبيعته للفكاهة ، و يمدح الهشاشة ، و يستنذ البشاشة ."<sup>100</sup> و قد أثر عن الرسول - صلى الله عليه و سلم - : " لا خيرَ فيمن لا يطربَ و لا يطربُ ."<sup>101</sup>

و لقد تربّع جانب الهزل على أكبر قدر من مضمون المقامات ؛ لأنه " من أخص خصائص مضمون فن المقامة الهزل و المرح الذين يدفعان القارئ أو السامع إلى الإغراق في الضحك . و الواقع أنّ الإضحاك في المقامة فن قائم بذاته فيها ."<sup>102</sup> فمن بين الحيل اللطيفة التي نسجها (الهمذاني) و جعلنا نتمتع بها تمتعا أدبيا تلك التي لمسناها في المقامة الحلوانية و المضرية ، و اللتين تقومان على فن النكتة و الإضحاك ، و تبنيان على فكرة هزلية لطيفة . يقول (الهمذاني) : " و دخل على أثري رجل و عمد إلى قطعة طين فطخ بها جبيني و وضعها على رأسي ثم خرج و دخل آخر فجعل يدلكني دلكا يكدّ العظام . و يغمزني غمزا يهدّ الأوصال . و يصقر صفيرا يرشّ البزاق . ثمّ عمد إلى رأسي يغسله . /.../ و قال : يا لكع مالك و لهذا الرأس و هو لي . ثمّ عطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابها و قال : بل هذا الرأس حقي و ملكي و في يدي . /.../ فقال الحمّامي : انتوني بصاحب الرأس أسأله . ألك هذا الرأس أم له . /.../ فقلت : يا عافاك الله هذا رأسي قد صحبني في الطريق . و طاف معي بالبيت العتيق ."<sup>103</sup> فالقارئ لهذا القول لا يلبث أن تنفجر ضحكاته مدوية ، أو يبتسم ابتسامة تنم عن وعي ، أعلى شفاهه .

إذا " ففن الإضحاك لم يقد على تدبير حيلة من نوع ما ، و لا على شرّ بيته عيسى ابن هشام أو الاسكندر الذي لم يظهر في هذه المقامة إلا في الجزء الأخير منها ، و إنّما



على فكرة مبنية على لون هزلي جديد يتمثل في سخافة أصحاب الحمامات ، و العمال الذين يعملون فيها ، كما يتمثل ذلك الحوار المشحون بالنكت الجارحة ، و الأضحاح المرحه . و لم يعول (الهمذاني) في الإضحاح هنا على الفكرة وحدها ، و إنما عول أيضا على الألفاظ الساخرة التي كان يستخدمها ، بل على ألفاظ الشتم و البذاء .<sup>104</sup> و في المقامة المضيرية بيني (الهمذاني) طرفته على أكلة مشهورة في عهده تنتهي بمأساة مضحكة و ممتعة ، يقول (الهمذاني) : " يتمنى الضيف أن يأكل فيه . فقلت : كل أنت من هذا الجراب . لم يكن الكنيف في الحساب . و خرجت نحو الباب . و أسرعت في الذهاب ، و جعلت أعدو و هو يتبعني و يصيح يا أبا الفتح المضيرة . و ظن الصبيان أن المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه فرميت أحدهم بحجر . من فرط الضجر . فلقي رجل الحجر بعمامته . فغاص في هامته . فأخذت من النعال بما قدّم و حتّ . و من الصقع بما طاب و خبت . و حشرت إلى الحبس . فأقمت عامين في ذلك النحس ."<sup>105</sup>

فمما لا شك فيه أن (الهمذاني) قد قصد في بعض المقامات من إدراج الهزل في مقاماته عين الجدّ ، يقول ( الجاحظ) في رسائله : " و جدّ القول يقدّمه المزاح ."<sup>106</sup> و قد وجدنا هذا النوع من الهزل في عدّة مواضع ، نذكر منها ما أدرجه (الهمذاني) في مقامته الأصفهانية ، و التي أشرنا إليها في بنية ( الحيلة / السخف) . و ما يهمننا في هذا المقام ، الهدف الأخلاقيّ و الاجتماعيّ و الدينيّ ، الذي ينشده (الهمذاني) من نبرته الساخرة المبطنّة داخل الألفاظ و الأساليب . أمّا من الناحية الأخلاقية فقد كذب (الاسكندريّ) على الرّسول - صلى الله عليه و سلم - متعمداً ، " و في ذلك ما فيه من تجرؤ على شخص النبيّ من جهة ، و عبث بالدين ؛ حيث أنّ عيسى بن هشام كان يتفرّج على النّاس و هم ساجدون ، باحثاً عن منفذ من هذا المسجد الغاصّ بالمصلين فلم يفلح - [ كما أنّ نتيجة لهذه الأضحوحة ] أخرت النّاس عن الذهاب إلى أعمالهم ، بمجرد انتهاء صلاة الغداة التي كانت هي في حدّ ذاتها ثقيلة و بطيئة ."<sup>107</sup> إذا فمقامات (الهمذاني) ليست مجرد أدب هازل ينشد الطرفة ، و إنما هي رؤية ناقمة على أوضاع المجتمع .

و في الختام نصل لنتيجة مفادها أنّ بطل المقامات هو شخصيّة إشكالية ، استحضره (بديع الزمان) من طبقة اجتماعية بسيطة ( العامة) ، ليمرر من خلاله الرّؤيا المأساوية التي عبرت عنها الحالة الاجتماعية لعصره ، في قالب نثريّ ، و إن بدا جانب الهزل (الكوميديا) طاغيا عليه ؛ فإنّ الجانب الدرامي لا يغيب عن لغة المقامات . فالرائح الغادي ما بين سطور القصص يتنبّه إلى ذلك السرد الدرامي الذي يجوب مجتمع (الهمذاني) و يتداعى ليصل إلى مجتمع (الاسكندريّ)

الهوامش :

(\*-) - الفهم و التفسير ( Interpretation - Compréhension ) : ليستا نسقين مختلفين ، وإنما هما نسق واحد في إطارين من المرجعية . إذن لا يمكننا الفصل بين مرحلة الفهم ومرحلة التفسير ، لأنّ الأول ينصب على تحليل الأبنية الداخلية للعمل الأدبيّ ، و ينصب الإطار الثاني على تحليل البنيات المقسرة و إدماج



الأولى فيها و تعبيرها من خلال الثانية . و هذا على حسب مقولات المنهج السوسيو بنائي لمؤسسه الناقد الروماني(لوسيان غولدمان ) (Lucien Goldman) ، الذي يزوج فيه بين علم الاجتماع و مقولات البنوية ، فيما يعرف بما بعد البنوية ألا و هو المنهج البنوي التكويني .

\* - خولة ميسي من مواليد ولاية سوق أهراس ، تزاول عملها بجامعة سوق أهراس ، و هي تدرس المواد التالية : النقد القديم ، البلاغة العربية ، الأدب الأندلسي . وقد تحصلت على شهادة الليسانس سنة 2006 عن قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة سوق أهراس ، و نالت شهادة الماجستير سنة 2008 تخصص أدب قديم و نقده بمعدل يساوي 15.18 عن جامعة الشيخ العربي التبسي - تبسة ، و الآن هي بصدد التحضير لنيل شهادة الدكتوراه .

(\*) - إن نشأة المقامة ارتبطت باسم واحد من أهم أعلامها الأولين ، وهو (أبو الفضل بديع الزمان الهمداني) المولود سنة (358هـ / 968هـ) المتوفى سنة (398هـ / 1007). لقد اشتق اسم المقامة من كلمة المقام ، التي تعني المجلس مكانا و جماعة حيث ينهض متحدث يلقي على أسماع الجماعة كلاما ، فهي إذن الحلقة التي يدور فيها حديث متميز ذو طابع استثنائي: للوعظ أو للإمتاع أو سوى ذلك ، في أسلوب قصصي بليغ ، يعتمد الزخرفة اللفظية ، و الأناقة في التعبير و التصوير ، و قد أطلق (بديع الزمان الهمداني) المصطلح مقامة في وصف مقاماته التي استندت إلى شخصيتين هما بطل المقامات : (أبو القتح الاسكندري) و الراوي (عيسى بن هشام) في كل المقامات الإحدى و الخمسين ؛ حيث يشيع الحوار فيها بين (أبي القتح الاسكندري) و هو رجل علم و فكر و أدب ، لكنه محتال ، في زمن غادر متقلب . و (عيسى بن هشام) الراوية : رحالة تاجر ، و تقوم على الاستجداء و الخداع و الاحتيال طلبا للرزق في قالب من السخرية و التكنة متوسلة بالبراعة الأسلوبية للتعليم و الإمتاع في صيغ شتى للتمويه و التضليل . عمر بن قيمة : فن المقامة في الأدب العربي ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2002 ، ص 9.

<sup>1</sup> - إكرام فاعور: مقامات بديع الزمان و علاقتها بأحاديث ابن دريد ، دار اقرأ ، ط1، بيروت لبنان ، 1983 ، ص 68 .

<sup>2</sup> - بديع الزمان الهمداني : المقامات ، تقديم و شرح : محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت - لبنان ، 2003 ، ص 26-27-28 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 26 .

<sup>4</sup> - طاهر لبيب : سوسيو لوجيا الغزل العربي الشعري العذري نموذجا ، ترجمة : حافظ الجمالي ، منشورات الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1981 ، ص 35 .

<sup>5</sup> - بديع الزمان الهمداني: المقامات ، ص 151 .

<sup>6</sup> - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ج3 ، دار المعارف ، ط5 ، القاهرة - مصر ، 1985 ، ص 56.

<sup>7</sup> - بديع الزمان الهمداني: المقامات ، ص 286 .

<sup>8</sup> - المرجع نفسه ، ص 67-68-69 .

<sup>9</sup> - عبد الرحمن بدوي : النقد التاريخي ، دار النهضة العربية ، 1980 ، ص 178 .

<sup>10</sup> - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ص 84 .

<sup>11</sup> - المرجع نفسه ، ص 84 .

<sup>12</sup> - نادر كاظم : المقامات و التلقي بحث في أنماط التلقي الهمداني في النقد العربي الحديث ، المؤسسة العربية للنشر ، ط1 ، بيروت ، 2003 ، ص 338 .

<sup>13</sup> - مطصفي الشكعة : بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي و ما وراء النهر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ص 267.

<sup>14</sup> - بديع الزمان الهمداني : المقامات ، ص 152 .

<sup>15</sup> - محمد محي الدين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت - لبنان ، ص 169-170 .



- 16- بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 170 .
- 17- المرجع نفسه ، ص 152 - 153 .
- 18- أحمد كمال زكي : النّقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، دار النّهضة العربية ، بيروت - لبنان ، ص 201 .
- 19- بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 269 .
- 20- سورة المنافقون : الآية 1-2 .
- 21- نادر كاظم : المقامات و التلقي ، ص 336 .
- 22- صلاح فضل : مناهج النّقد المعاصر ، دار الأفاق العربيّة ، ط 1، القاهرة ، 1997 ، ص 44 - 45 .
- 23- فوزي عيسى ، فوزي أمين : في الأدب العباسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص 59
- §- و تلمع في أوساط الزّهاد أسماء عديدة من الزّهاد و النّسّاك من أمثال (سفيان الثوري) ، و (داود الطائي) ، و (عبد الله بن المبارك) و ( الفضيل بن عياض ، و سفيان بن عيينه ، و إبراهيم بن أدهم ، و معروف الكرخي إلى جانب رابعة العدويّة ). المرجع نفسه ، ص 84 .
- 24- المرجع نفسه ، ص 85 .
- 25- سامي عابدين : في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر) ، دار النّهضة العربيّة ، ط1، بيروت - لبنان ، 2001 ، ص 19-20 .
- 26- بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 273 .
- 27- عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، الشركة الوطنيّة للنّشر ، الجزائر ، 1980 ، ص 183 .
- 28- محي الدين أبو شقرا : مدخل إلى سوسولوجيا ، المركز الثقافي العربي، ط1، الدّار البيضاء - المغرب ، 2005 ، ص 48 .
- 29- فوزي عيسى ، فوزي أمين : في الأدب العباسي ، ص 61 .
- 30- أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج1، دار الكتاب العربي ، ط 10، بيروت - لبنان ، ص 107 .
- 31- بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 74 .
- 32- المرجع نفسه ، ص 264 - 265 .
- 33- إكرام فاعور : مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد ، ص 70 .
- (\*) - (خلف بن أحمد) أحد الأمراء الذين انتجعهم (الهمذاني) و مدحهم ، و له فيه قصائد شبيقة. محمد محي الدين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزّمان الهمذاني ، ص 295 .
- 34- بديع الزّمان الهمذاني: المقامات ، ص 221 .
- 35- مصطفى الشكعة : بديع الزّمان الهمذاني ، ص 19 .
- # - التثنية < La reification > ، مصطلح صاغه (لوكاتش) ليصف ما سماه ماركس ( التثنية السلمي ) ، الذي يذهب إلى إنّ الإنتاج في النظام الرأسمالي يركّز اهتمامه على السلعة المنتجة ؛ من حيث أنّها حصيد عمل مبدول و أدوات إنتاجه ، وبالتالي تصبح قيمتها كامنة في سعرها ، أو ما يسمى بالقيمة التبادلية و ليس في قيمتها الاستخدامية . و قد وسّع (لوكاتش) من هذا المصطلح ؛ حيث ذهب إلى القول بأنّ هاتين القيمتين تعبران عن مرحلتين اجتماعيتين في تاريخ الغرب : ففي المجتمعات ( البدائية) و الإقطاعية ، كان الإنتاج يهدف إلى إشباع الحاجات ، و بالتالي كانت قيمة السلعة تكمن في قيمتها كأداة لإشباع احتياج ، و من ثمّ كانت هناك علاقة اتساق بين الإنسان و المنتجات التي يحتاج إليها . أما في المجتمع الحديث ، فإنّ السلعة تفقد قيمتها التبادلية و تصبح شيء ، بالتالي يفقد الإنسان علاقته معها ، و تصبح هناك فجوة بينة و بين العالم المحيط به ؛ لأنّه يعيش في عالم تحكمه قيم التبادل ، و يظل هو يبحث عن قيم الإنسان . توم بوتومور : مدرسة فرانكفورت ، ترجمة : سعد هجرس ، دار أوپبل ، ط1، طرابلس-ليبيا ، 1998 ص 177 .
- 36 - محمد زغول سلام : الأدب في عصر العباسيين من بداية القرن الرابع إلى نهايته ، ج2، منشأة المعارف ، ط 1، الإسكندرية ، 1999 ، ص 288 .
- 37- عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 364 - 366 .
- 38- بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 131 - 132 .



- 39 - إكرام فاعور : مقامات بديع الزّمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد ، ص 39 .
- 40 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 224 .
- 41 - المرجع نفسه ، ص 271 .
- 42 - المرجع نفسه ، ص 46 .
- 43 - المرجع نفسه ، ص 47 .
- 44 - فاروق عمر فوزي : الخلافة العبّاسية عصر القوة والازدهار ، ج 14، دار الشّروق ، ط1، عمان - الأردن ، 1998 ، ص 124 .
- 45 - الطّيب بن عمار : < تحليل إنشائي للمقامة الحلوانيّة للهمذاني > ، المجلة الثقافيّة ، ع 36-37 ، السّنة العاشرة ، تونس ، ص 51 .
- 46 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 197 .
- 47 - الطّيب بن عمار: < تحليل إنشائي للمقامة الحلوانيّة للهمذاني > ، ص 51
- 48 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 198-199 .
- 49 - المرجع نفسه ، ص 198-199 .
- (\*) - كان منجمًا ، وله من الكتب في ذلك؛ الموالييد ، المدخل إلى علم النّجوم . (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق) النّدِيم : الفهرست ، تقديم وشرح أحمد شمس الدّين ، دار الكتب العلميّة ، ط2، بيروت - لبنان ، 2002 ، ص 443 .
- 50 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 237 - 238 .
- 51 - المرجع نفسه، ص 245 .
- 52 - عماد الدّين خليل : مدخل إلى الحضارة الإسلاميّة ، ص 169 .
- 53 - المرجع نفسه ، ص 171-172.
- 54 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 181-182 .
- 55 - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ص 45 .
- 56 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 246 .
- 56 - المرجع نفسه، ص 246-247-250 .
- 57 - عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 354 .
- 58 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 251 .
- 59 - إكرام فاعور : مقامات بديع الزّمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث أبي دريد ، ص 56 .
- 60 - مصطفى الشّكّعة : بديع الزّمان الهمذاني، ص 32 .
- 61 - المرجع نفسه ، ص 35 .
- 62 - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، ص 76 .
- 63 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 233-234 .
- 64 - المرجع نفسه، ص 235 .
- 65 - (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) الجاحظ : البخلاء ، قدم له : عباس عبد السّاتر ، دار و مكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة ، بيروت -لبنان ، 1998 ، ص16.
- 66 - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ص 54 .
- 671 - محمد محي الدّين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزّمان الهمذاني ، ص 106 .
- 68 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 108 .
- 69 - المرجع نفسه ، ص 111
- 70 - مصطفى الشّكّعة : بديع الزّمان الهمذاني ، ص 319 .
- 71 - المرجع نفسه ، ص 315 .



- 72 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 114 .  
73 - المرجع نفسه ، ص 113 .  
74 - المرجع نفسه ، ص 113 .  
75 - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، ص 55 .  
76 - المرجع نفسه ، ص 83 .  
77 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 86 .  
78 - المرجع نفسه ، ص 93 - 94 .  
79 - المرجع نفسه ، ص 95 .  
(\*) - أبو قلمون ، ثوب رومي من الابريسم يظهر للعين في ألوان مختلفة يراعون ذلك في صنعته . المرجع نفسه ، ص 96 .  
80 - المرجع نفسه ، ص 96 .  
81 - الجاحظ ( أبو عثمان عمرو بن بحر ) : البيان و التبيين ، ج 1-2-3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ص 69 .  
82 - مصطفى الشكعة : بديع الزّمان الهمذاني ، ص 314 .  
83 - نادر كاظم : المقامات و التلقي ، ص 342 .  
84 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 96 .  
85 - المرجع نفسه ، ص 66 .  
86 - المرجع نفسه ، ص 11 .  
87 - محمد محي الدين عبد الحميد : شرح مقامات بديع الزّمان الهمذاني ، ص 110 .  
88 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 110 .  
89 - عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 313 .  
90 - جرجس داود داود : الزندقة و الزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية و حتى القرن الثالث الهجري ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط 1 ، بيروت - لبنان ، 2004 ، ص 156 .  
91 - المرجع نفسه ، ص 176 - 177 .  
92 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 241 .  
93 - المرجع نفسه ، ص 269 .  
94 - المرجع نفسه ، ص 266 - 267 .  
95 - المرجع نفسه ، ص 167 .  
96 - نادر كاظم : المقامات و التلقي ، ص 342 .  
97 - السيد عبد الحلیم محمد حسين : السّخرية في أدب الجاحظ ، الدّار الجماهيرية ، ط 1 ، ليبيا ، 1988 ، ص 64 .  
98 - سورة هود : الآية 38 .  
99 - سورة الحجرات : الآية 11 .  
100 - السيد عبد الحلیم محمد حسين : السّخرية في أدب الجاحظ ، ص 65 .  
101 - المرجع نفسه ، ص 67 .  
102 - عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 283 .  
103 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 198 .  
104 - عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 295 .  
105 - بديع الزّمان الهمذاني : المقامات ، ص 136 .  
106 - الجاحظ : رسائل الجاحظ ، دار و مكتبة الهلال ، ط 3 ، بيروت - لبنان ، 1995 ، ص 136 .



107- عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ص 289 .

### ثبت المصادر و المراجع :

\*- القرآن الكريم

### 1/- المصادر :

- 1- عبد الحميد محمد محي الدين : شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت - لبنان .
- 2- الهمذاني ( أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى) : المقامات ، تقديم و شرح: محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت - لبنان ، 2003 .
- 2/- المراجع :
- 3- ابن قتيبة عمر : فن المقامة في الأدب العربي ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2002 .
- 4- أبو شقرا محي الدين : مدخل إلى سوسولوجيا ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، الدار البيضاء - المغرب ، 2005 .
- 5- أمين أحمد : ضحى الإسلام ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، ط10 ، بيروت - لبنان .
- 6- بدوي عبد الرحمان : النقد التاريخي ، دار النهضة العربية ، 1980 .
- 7- بوتومورتوم : مدرسة فرانكفورت ، ترجمة : سعد هجرس ، دار أوبا ، ط1 ، طرابلس - ليبيا ، 1998 .
- 8- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) : البخلاء ، قدم له : عباس عبد الساتر ، دار و مكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة ، بيروت - لبنان ، 1998
- 9- الجاحظ : البيان و التبيين ، ج1-2-3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- 10- الجاحظ : رسائل الجاحظ ، دار و مكتبة الهلال ، ط3 ، بيروت - لبنان ، 1995 .
- 11- داود جرجس داود : الزندقة و الزنادقة في الأدب العربي من الجاهلية و حتى القرن الثالث الهجري ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 2004 .
- 12- زكي أحمد كمال : النقد الأدبي الحديث أصوله و اتجاهاته ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان .
- 13- سلام محمد زغلول: الأدب في عصر العباسيين من بداية القرن الرابع إلى نهايته ، ج2، منشأة المعارف ، ط1 ، الإسكندرية ، 1999، ص 288.
- 14- الشكعة مصطفى : بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية و المقالة الصحفية مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي و ما وراء النهر ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، القاهرة ، 2003.
- 15- ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي ، ج3 ، دار المعارف ، ط5 ، القاهرة - مصر ، 1985 .
- 16- عابدين سامي : في الأدب العباسي قصر المأمون و أثره على العصر، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 2001 .
- 17- عيسى فوزي ، أمين فوزي : في الأدب العباسي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2003.
- 18- فاعور إكرام : مقامات بديع الزمان الهمذاني و علاقتها بأحاديث ابن دريد ، دار اقرأ ، ط1، بيروت لبنان ، 1983 .
- 19- فضل صلاح : مناهج النقد المعاصر ، دار الأفاق العربية ، ط1 ، القاهرة ، 1997 .
- 20- فوزي فاروق عمر: الخلافة العباسية عصر القوة و الازدهار ، ج14، دار الشروق ، ط1، عمان - الأردن ، 1998 ، ص 124 .
- 21- لبيب طاهر : سوسولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نمودجا ، ترجمة : حافظ الجمالي ، منشورات الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1981.



- 22- محمد حسين السيد عبد الحلیم: السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية ، ط1 ، ليبيا ، 1988 .  
23- مرتاض عبد الملك : فن المقامات في الأدب العربي ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1980 .  
24- التّديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق) : الفهرست ، تقديم وشرح أحمد شمس الدّین ، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت - لبنان ، 2002 ،

#### الدوريات :

- 24- بن عمار الطّيب: < تحليل إنشائي للمقامة الحلوانية للهمذاني > ، المجلة الثقافية ، ع 36-37 ، السنة العاشرة ، تونس .

مجلة علوم إنسانية  
JOURNAL OF HUMAN SCIENCES



مجلة دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية

مجلة علوم إنسانية [WWW.ULUM.NL](http://WWW.ULUM.NL) السنة السابعة: العدد 44: شتاء 2010 - Issue 44, Year 7th, Jan.

---